حديث عصري

الى أبي أيوب الأنصاري

حقوق الطبع محفوظة

الطَّبْعَة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

****

رقم التصنيف	: ٨١١
المؤلف ومن هو في حكمه	: جابر قميحة
عنوان المصنف	: حديث عصري إلى ابي أيوب الأنصاري
الموضوع الرئيسي	: ١ـ الآداب
	٢ـ الشعر العربي
رقم الإيداع	: (١٩٩٧/٦/٧٣١)
بيانات النشر	: عمان: دار البشير

• تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ١٩٩٧/٦/٦٠٧

دار البشير
ص.ب (١٨٢٠٧٧) / (١٨٣٩٨٢)
هـاتف: (٦٥٩٨٩١) / (٦٥٩٨٩٢)
فـاكس : (٦٥٩٨٩٣) تـلكس (٢٣٧٠٨) بشـير
مركـز جوهـرة القـدس التجـاري / العبـدلي
عـمان - الأردن

Dar Al-Bashir
For Publishing & Distribution
Tel: (659891) / (659892)
Fax: (659893) / Tlx. (23708) Bashir
P.O.Box. (182077) / (183982)
Jerusalem Jewel Trade center Al-Abdali
Amman - Jordan

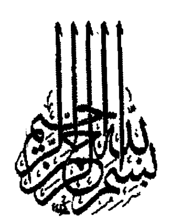
رابطة الأدب الاسلامي العالمية
مكتب البلاد العربية
(١٤)



حديث عصري
إلى أبي أيوب الأنصاري

الدكتور جابر قميحة

دار البشير



حديث عصري
إلى أبي أيوب الأنصاري*

يا أبا أيوبَ والإســلامُ قُـربى وانْتـسـابُ
قـد أتيناك فـفي اللُّقـيا اغـتنامٌ واكـتـسـابُ
نتـملَّى أرضَ مـجـدٍ يزدهي فـيـهـا الخطابُ
يا كـريماً ضـافَ خـيـرَ الرُّسْلِ، يا طِبْتَ وطابوا
ناخت القـصـواءُ(١) في رحـبك يا نِعْمَ الرحـابُ
قـد قـصـدناك ضـيـوفـاً ولنا فـيكمْ رِغـابُ(٢)
نيِّـراتُ القـصْـدِ لا منهـا طعـامٌ أو شـرابُ
أو هوى ليلى ولبنى، أو سـعـادٌ أو رَبابُ
إنما جـئـناك تحـدُونا بطولاتٌ عُـجـابُ
ذكـرياتٌ في فـمُ الدنيـا هي المسْكُ المذَابُ
حين كنتم بلْسماً(٣) في السلم صَفْواً لا يُشاب(٤)
ولكم في سـاحـة النور بنودٌ وقـبـابُ
وقلوبٌ ملْؤها الرحـمـةُ والحبُّ اللُّبـابُ

***

فـإذا مـا ظُلمَ البُـرْهانُ أو غِـيلَ(٥) الصـوابُ

* ظل أيوب الأنصاري رضي الله عنه يجاهد في سبيل الله إلى أن دفن في استانبول وقد ألقيت هذه القصيدة يوم ٢٥/٨/١٩٩٣ في مؤتمر رابطة الأدب الإسلامي العالمية المنعقدة في استنبول.

هجْـــتُمُ الهْـــولَ، فَلِلْهـــولِ زفـــيـــرٌ ولُهـــابُ
وإذا أنتم حُـــمـــاةُ الحقِّ آســـادٌ غـــضـــابُ
رفـرفتْ من فـوقـهمْ في سـاحـة الهـول العُـقَـاب(٦)
وخـيـولُ الله تَمْـضِي، فـهْيَ في السـاحِ الجَـوابُ
مـثلمـا السيلُ، لهـا في الحَـزْن والسـهْل انصبـابُ
ولـهـــا فـي ســـاحـــة النصـــر ذهاب وإيابُ
وضُـــبـــاحٌ وصـــهـــيلٌ، وصليلٌ وضِـــرابُ
وحِـــرابٌ ســاعـــرات، فَلْتَـــقُـــولي يا حِـــرابُ
وسـيـوفٌ، وحـتـوفٌ، وزحـوفٌ، لا انسـحـابُ
وهتـافُ العـزة القَـعْـسـاءِ يحـدُوه السـحـابُ
والمنـايا ـ لا الـدنايا ـ هي للصـــحب الطِّلابُ
خـالدٌ فـيـهم، وسـعـدٌ، والمثنى والحُـبَـابُ
مِنْ دمـاهمْ في نواصي الخـيل عطرٌ وخِـضـابُ
لـم يكونوا كـجـيـوش قطعـوا الأرضَ وجـابوا
مـا هُمُ إلا شُـمُـوسٌ زاحـفـاتٌ أو هِضـابُ
ليس يثنيـهمْ عن الزحف جِـبـالٌ أو عُـبـابُ
فـهُمُ للمـوت هَبُّـوا، ونِدا الله أجـابُوا
يوم دكُّـوا الفـرسَ والرومَ ومـا هانُوا وهابوا
فـإذا الأعـداءُ ـ من رُعْبٍ ـ هبـاءٌ أو سـراب
إنه المسلمُ ـ حـقـاً ـ سـيـفُ حقٍ أو شِـهـابُ
في سـبـيـل الله يحـيـا، لا نفـاقٌ لا كـذابُ
مـصـحـفـاً يمشي ـ عليـه من تقى الله ثيـابُ
سـيـفُـهُ ـ إن يَبْغِ باغٍ ـ هوَ للبـاغي عِـتـابُ

هـكـذا كـنـتـم ـ أبـا أيـوب ـ والغـــرُّ الصـــحـــابُ
دُرراً زانـتْ جـــبينَ الـدهْرِ شـــيبٌ وشـــبـــابُ
شـابَ فَـوْداكَ – مـن الدهر – ومـا في الشـيبِ عـابُ
لـم يكـن يُحْـسَـبُ بالـسنِّ مـــشـيبٌ أو شـبـابُ
لـيسَ بـالـشــبـــانٌ من هانُوا إذا حطَّت صـــعـــابُ
وإذا الشـــيـخُ تجلى فــهـــو في الحـــرب الشـــهـــابُ
ثـم طـال الأمـــــدُ المنكـودُ واهـتــــزَّ الجَـنَـابُ
وغـــدا بينَ قـلوب القـــوم والديـن حـــجـــابُ
ثـم حـل الوهْـنُ فـــيـــهـم وهوى الدنيـــا طلابُ

***

ثـم جـــئـناكَ ولـلـشِّــعـــرِ نـشـــيـجٌ وانْتـــحـــابُ
بـقلوبٍ دامـــــيـــــاتٍ بـعْـــدَ أن جـلَّ المُصـــابُ
مـن ديار قـــد تـغـــشـــاها ظلامٌ وضَـــبَـــابُ
فـــالقـــوانينُ انتـــهـــاكٌ وانتـــهـــاشٌ وانتـــهـــابُ
وســـجـــونٌ وشـــجـــونٌ ودمـــوعٌ واغـــتـــصـــابُ
وأنـا المسْلمَ في أرضـي لِيَ العُـــقـــبى اغـــتـــرابُ
لـم يَعُـــد للبلبُلِ الغـــرِّيدِ في الدوْحِ رحـــابُ
واســـتـــقـــرتْ في رحـــابِ الدوح بومٌ وغـــرابُ
صَـــوْتُـهُ فــيـــه نعـــيبٌ ونعـــيقٌ مـــســـتطابُ
وعلى البُلبلِ أن يمضي يُغَـــشِّـــيـــه العـــذابُ
شـاردَ الخطو، حـبيسَ الشـدْوِ تَقْليـه(٧) الشـعـابُ
وينادي الأُفْقَ: هـل للفــــجـــرِ من ليْلكَ بابُ؟
فـــإذا الأصـــداءُ هـمٌّ وضـــيـــاعٌ واكـــتـــئـــابُ

إنه ليلٌ كثيفٌ مُجرمُ الظُّلُمات .. غابُ
ذو عُيون راصدات شَرعُها ظُفُرٌ ونابُ
قُوتُها الأعْراضُ، أمَّا دمُنا فَهْو الشرابُ
وبَخورُ الزيفِ دينٌ والنفاقاتُ كتابُ
والمروءاتُ خطايا، والنَّذالات صوابُ
ويْحَ قلبي ـ يا أبا أيوبَ قد جُنَّ الحسابُ:
ألفُ مليون بلا قدْرٍ ولا حتى الذبابُ!!
بل غُثاءٌ كغُثاءِ السيْلِ بالنفحِ يُذابُ
وقلوبٌ من هواء وحناياهُمْ خرابُ
يستوي منهم حُضورٌ في حماها أو غيابُ
لا تسَلْهُمْ عن غضابٍ، لم يَعُدْ فيهم غضاب
لا تَسَلْهُم عن عُضاب، ماتَ في الغمْد العُضابُ(٨)
والخيولُ الجردُ نامتْ في مآقيها الذبابُ
غابت الصَّهْوَاتُ منها وتغشاها التُرابُ
أنِعَاجٌ ما أرى في الساحِ أمْ خيْلٌ عِرابُ(٩)

....

....

يا لَقَومي عن جهاد القوم قد صامُوا وتابوا
وأطاعُوا من أضلُّوهم وأغْروْهُمْ فخابُوا
وأعِدُّوا ما استطعتمْ قد تولاها الغيابُ
أم ترى الأنفالَ ـ واذلاه ـ لم يَحْوِ الكتابُ؟
أَوَ دينٌ غيرُ دينِ الله لُحْمَاهُ ارتيابُ؟
وانقهارٌ وانهيارٌ وانصهارٌ واضْطِراب

***

أنـا لـم أَقْـنـطْ[١٠] ولكـنْ ضَلَّ في قـومي الصـوابُ

ويقـــيني أنني بيني وبين النصْـــر قـــابُ[١١]

إنـهـــــا سُـنَّـةُ ربِّي لـيسَ تَـفْـنَـى يا ذئـابُ

قـد يغـيـبُ الحقُّ يومـاً ثم يأتيـه الغـلابُ[١٢]

فـإذا الليلُ تمادى فـسـيـمْـحُـوهُ انْجـيـابُ[١٣]

ويشقُّ الأفْقَ سـيفُ الفـجـر والآيُ العـذابُ[١٤]

ويعـــودُ البلبلُ الغـــرِّيدُ، يا نـعْمَ الإيـابُ

ويعـــود الـدوح دَوْحـــاً والروابي والشِّـــعـابُ

***

---

(١) القصواء: ناقة الرسول ﷺ.

(٢) الرغاب: الرغبات المقاصد.

(٣) البلسم : العلاج والدواء.

(٤) يشاب: يخلط ويعكر.

(٥) غيل: قتل غدراً.

(٦) العُقاب: (بضمن العين) اسم راية الرسول ﷺ.

(٧) تقليه : تبغضه.

(٨) السيف العضاب: القوي.

(٩) الخيل العراب: الأصيلة.

(١٠) القنوط: اليأس.

(١١) قاب : مسافة قصيرة.

(١٢) الغلاب: التغلب والنصر.

(١٣) انجياب: انقشاع وانتهاء.

(١٤) الآي العِذاب: (بكسر السين) الآيات العذبة.

هديتي إلى شباب الإسلام

لقد فاضت الآفاق نوراً وبهجةً ... بذكرى رسول الله، أنعمْ بها ذكْرى!
وعندي من الشعرِ الكريم حديقةٌ ... زرعْتُ بها الريحانَ والورْدَ والزهْرا
وروَّيتُها من عطْرِ «طه» وبالضّحى ... و«بالنور» والإخلاصِ و«الفجر» والإسْرا
لذلك أُهْديكُمْ غوالي مشاعري ... وقد صُغْتُها من ماءِ قلبي لَكُمْ شعْرا
بُنيَّ - رعاكَ اللهُ - هاكَ هديَّتي ... تَمَسَّكْ بأَهْداب الشريعة كي تَثْرَى
فإنَّ قوامَ الدينِ سيفٌ .. ومصحفٌ ... وعلْمٌ وعَزْمٌ لاهبٌ يقْهَرُ القَهْرا..
فإمّا تمسكْنا به كان نصُرُنا ... وإمّا هجرناه غدَوْنا ولا صفْرا..
ويا فَخْرَنَا أن كانَ فينا محمدٌ.. ... وأَنْعمْ به عزاً، وأنعم بهِ فَخْرا
فما حققَ النصرَ الأبيَّ تواكُلاً ... ولكن بعزْمٍ شامخٍ يسْحقُ الصخْرا
فكانَ بصدرِ الجيشِ تحت عُقابه ... فتهوي رؤوسُ الكُفْرِ من رُعبها حَسْرَى
فما منهمُ إلا صريعُ هزيمةٍ.. ... وناجٍ رَعيشُ القلب يجْتَنبُ الأَسْرا
هو الأسوةُ الشمَّاءُ، أَنعِمْ بأُسْوةٍ ... هي البلسمُ الشافي وأنعمْ به طُهْرا
هو القدوةُ العظمَى لأصحابه الأُلَى ... مَضَوْا ينصرون الدينَ والأَنْجُمَ الزُّهْرَا
مشاعلُ حقٍّ قد أضاءتْ بها الدُّنَى ... وحرَّقَت الطغيانَ والذلَّ والكفرا
ألم ترَ سعداً والمثنى.. وخالدا ... وحمزةَ والمقدادَ، والفتيةَ الغُرَّا
لهم رايةٌ صيغتْ من المجْدِ والتُّقى ... وما نُسجَتْ قَزًّا، وما صُبغَت تبرْا
مَضَوْا يمخُرون الصخرَ والبحرَ والمَدَى ... فأصبحَ ما قدْ كانَ عُسْراً بهمْ يُسْرا
ونصرُهُمُ حقٌّ على اللهِ في الوغى ... ولم يعرفوا إلا لربهمُ .. فَرَّا

فدكوا حصونَ البغي والظلمِ والهوى ... وصاغُوا كتاب العدلِ سطْراً تلا سطرا
فـمـا عـادَ فـوقَ الأرضِ للرومِ رايةٌ ... ومـا عـاد للفـرسِ الجـبـابرِ من ذكْـرَى
وما عـاد فـيـهـا قـيـصـرُ الظلمِ والـهوى ... ولا رسْتُـمُ الجبـارُ فـيـهـا ولا كسْرَى . .
وفي عَـالَمِ الـيـومِ الكـئـيـب مـبـادىءٌ ... كمثلِ ضَوَاري الغاب، بل إنها أضْرَى
تُـخـرِّبُ في الأرواحِ كـلَّ نبـيـلةٍ ... وتزرَعُ فـيـهـا الإفكَ والإثْـمَ والشـرّا
وتـزعـمُ أنَّا لـو رجـعـنـا لـشـرْعنا ... لكـنا لظُلْـمـاتِ الـتـخلفِ كـالأسْـرَى
فـيـا عَـجَـبـاً للإفْكِ . . إذ يـنسـجُـونَهُ ... خُـيـوطَ ضـلالٍ تورثُ الجَـهْلَ والكفرا
وتُخْـمِـدُ نورَ القـلبِ والطهْـرِ والنُّهى ... وتجعلُ خصبَ الأرض من سُمِّها قَفْرا
فـمن ذا الذي سـاقَ الهـدايةَ للدنى ... وأخـرجـهـا للنور من ظلمـةٍ حَـرَّى؟
ومن ذا الذي راعى الهـدايةَ منهـجـا ... وروحَ الإخـاء الحقِّ والسلْـمَ والخيْـرا؟
ومن ذا الذي قـد علَّم الغـربَ بعـدَمـا ... قـضى في ظلامِ الجـهلِ من ضـيـعـةٍ دهرا؟
هُـمُ - يا بُنيَّ - المسلمـونَ، وقـد سَـعَـوْا ... يجيبونَ داعي الله « باقْرَأْ » فيا بُشرى!
فلـمـــا تَـراخَـــيْنَـا ونمْـنَـا تَـسَلَّلُوا . . ... ولَصُّوا حَضَـارتنا، وبـاهُوا بهـا الغَـيْـرا
ومـا العلْمُ إلا علْمُنا غَـيَّـروا اسْـمَـهُ ... ولكنَّنا نـمْنَـا وهُـمْ واصلُوا السَّـيْــرا
فلمـا صَـحـوْنا من كَـرىً طالَ ليلُه ... تَكَشَّفَ أنَّ اللصَ قـد غـادَرَ القَـصْـرا
يَـرُدُّ علـينـا من بضـــاعـــتنـا التي ... تَنَهَّـبَـهَـا ليـلاً، فَنُزْجِي لَهُ الشكرا . . .
ولكـنه أبْقَـى لـه من لُبـــابهـــا . . ... جواهرَها العظمى، وأعطى لنا القشْرا
بُنَيَّ: وفي ذكــرى الرســولِ ونورها ... ذَكَرْتُك . فلتُخْلصْ وَفاءَكَ للذكْرَى
وإنـا - وقـــد شـــبْنَا ولانَتْ عظامُنا ... عَـقَـدْنا بك الآمَـالَ، والنظرةَ البكْرا
بأن تـبْـعَـثَ الأمـجـادَ بالعلم والتُّـقَى ... وبالفكـرِ والإبداعِ تُدْنِي لَنَا الفَـجْـرا
لكي نسـتـعـيـدَ اليومَ مـجـدَ جـدودنا ... ونبْنِي على القـرآنِ دولتنا الكـبـرى

عزة المسلم

مَنْ عـذيري من الذي سِيم خسْفاً   فهَوى ساجداً بوجهٍ طليقِ
ومشى زاهياً بثوب ذليلٍ   ثانيَ العِطْف مثلَ غصنٍ وريق
قلت: «بُؤْساك» قال: «عفواً فإني   أشتهي العيشَ صافياً ذا بريق»
قلتُ: «يا ضيعةَ الرجال إذا عا   شُوا بعِرْضٍ مقبَّحٍ .. مَمزوق
لا تقل «مسلمٌ»، فمن باعَ طوعاً   دينَه في هوى السقوط السحيق
زاحفاً لاعقاً يداً لطمتهُ   لم يكنْ غيرَ مارقٍ .. زنديق
عزَّ من عاشَ في الحياةِ كريماً   وهواهُ الأبيُّ في التحليقِ
وَحِّدِ اللهَ لم تعُد بصديقي   فطريقُ النفاقِ ليسَ طريقي
والمنايا ولا الدنايا نشيدي   وصلاتي في مغربي وشروقي
والمعاني الكبارُ والعزة القعـ   ـساء أمي ومُهجتي وشقيقي
والزُّلال القَراحُ لوشيبَ بالضيْـ   ـمِ لحرَّمتُه يبلِّلُ ريقي
وحروقي إنْ كان بلسمُها الذلَّ..   «فزيدي تقرُّحاً يا حروقي»
ودمي لو يهادنُ الظلمَ يوماً   برئتْ منه.. ذمتي وعُروقي
وَحِّدِ اللهَ إنَّ طَعْمَ الرزايا   في مَذاقِ الأُباة طعمُ الرحيقِ
وإذا الموتُ هَلّ بالعزِ أضحَى   في عيونِ الأحرارِ نورَ الشروق
إنها عزة الإله.. حباها   لنبيٍّ الهدى الأبي الصدوقِ
فعززنا بها كراماً أباةً   عزةَ المسلمِ الأصيلِ العريق
ثم فاضتْ منارة الحق بالنو   ر وعزمِ الخليفةِ الصديق
وانطوتْ رايةُ العبودة تنعى   كل باغٍ في هواه غريقِ

يومَ دُكَّ الإيوانُ إيوانُ كـســـرى بجــيــوشِ الإيمان والفـــاروقِ
واسـألَنْ خـالداً وسـعـداً وعَـمـراً هـازمي الفــرسِ قــاهـري الإغــريق
وعلى دربهمْ مـشـيـنا حـشـودا بـخطـى ثـابـتٍ .. وعـــزمٍ وثـيـق
تحت رايات أحـــمـــدٍ وهُداهُ وسنا المســجـد الحـرام العـتـيق
وَحِّـــدِ اللهَ إن ديـنـي مـــتينٌ وشـمــوخُ الأُباةِ مــالي وسـوقي
بينمـا غـايةُ الخـسـيسِ الدنايا من طعـامٍ وملبسٍ وعــقـيقِ
فــاعــذرنِّي فلن أكــونَ شــريكاً في فــريقِ الكئــوسِ والإبريق
مُـعـرقاً في النفـاقِ من أجل أن يحـ يـا حــيــاةَ الخنوعِ والتلفــيق
بين كـــأسٍ ملعـــونةٍ وخطايا وصَـــبُـــوحٍ مـــرنَّحٍ وغـــبُـــوق
أنتَ يا مَنْ غـدوتَ في العين أقـذا ءً وعـــاراً وغـــصـــة في الحلوق
وَحِّـــدِ اللـهَ واتـركـنَّ طريـقـي فـمن اليـوم لم تـعـد بصـديقي
هاك عـهـدي ومـوثقي ويقـيـني هاتفـاً بالتـقى ونور دفــوق :
« لستُ من أحـمـدٍ إذا هنتُ يومـاً لا .. ولـسـتُ بـديـنـه بـخـلـيـق
فــالذي ينحني لغـيــرِ إلهي ليس بالمسلمِ الأصيل الحـقـيق »

الضاربون في الظلام

أيهـا المدْلِجـونَ في حَلَكِ الليلِ ... حـيـارَى أضناهُمُ الإدْلاجُ
بعـيـونٍ مـحـرَّقـات المآقي.. ... وغـبـارُ الأسى عليـهم رتاجُ
والمدى حَـولهمْ فـحـيحٌ وشـوكٌ ... والطريقُ الطويلُ فيـه اعـوجـاجُ
قـد تولَّتْـه عـاتيـاتُ الأفـاعي ... والأعـاصيـرُ سعَّرتْها الفـجاجُ
حيث سدَّتْ مسارحَ الليل فيـها ... والثنيَّاتُ.. كلها.. أحْـراجُ

* * *

مـالكم تَصْـرُخـونَ والليلُ داج ... أينَ ولَّى من وجْـهنا المِنْهـاجُ
كـيف نشـقَى وعندنا المالُ فـيض ... والقـصُورُ الشـمَّـاء.. والديبـاجُ
ولـنا سطوةٌ تعـزُّ عـلى الجنّ ... وقـد زانهـا العـلا والتـاجُ
بيننا الفـيلسوفُ والفارسُ المغوار ... يخـشـاه جـحـفلٌ عـجَّـاج
كـيف نشـقى وطوعُ إمـرتنا العـزُّ ... وكـلٌّ بعـزِّنـا.. لَهَّـاج؟

* * *

أيُّهـا الضـاربون في ظُلمـة الليل ... لـدينا قـراركُمْ والعـلاجُ
ازرعـوا الحبَّ في حناياكم الجرداء ... فـالحبُّ للقلوب سـراجُ
وامسـحـوا دمـعـةَ الشـقيِ المُعنَّى ... كي يؤاخي حـيـاتَهُ الإبتـهـاجُ
واجعلُوا الرحمةَ الشـفيفة مغْنى ... يستـبي النفسَ طيرُهُ الهـزّاجُ
وأديروا كـؤوسـهـا متـرعـاتٍ ... مـزْجُـهـا العـدلُ، نعمَ هذا المزاجُ

* * *

هكذا يسـقط الظلامُ عن الدرب ويبـقى سـراجُـهُ الوهاجُ
ونعيشُ الحـياة في جنة السعد عليـها من القلوب سـياجُ
تتنامى زنابقُ الخـيرِ فـيـها.. والخُـزامَى والنرجِسُ الأرّاج
تحسب الحبَّ .. وهو يحنو عليها قد جلاهُ الإسـراء والمعراج

ملحمة النسر واليمامة

لكَ الوَكْـرُ والمجـدُ والراسـياتُ لكَ السُّـحْبُ والأنجمُ البـاذخَـهْ
وعندَ انقـضاضكَ عـصفٌ عـتيٌّ تُروِّعُ منه الذرُّا الشـامـخَـهْ
وإمّـا زَعَـقْتَ فـصوْتُ المصيـر يزلـزل أطوادَها الراسـخـهْ

لكَ السّهلُ والنجدُ ـ غير الفضاء ـ مـديدَ الرحـاب، رحـيبَ المدى
ومن يتـقـحَّمْ عليك الفـضـاءَ فليس لـه منك غـيـرُ الردى
ويغـدُو هبـاء شـريدَ الدمـاءِ ويـصـبحُ درْسـاً لمنْ هـدّدا

وتحـصـدُ رزقكَ أنّى تَشَـاء ولكنْ على القـمَمِ العَـاليـه
مليكا قـوياً مـهـيبَ الجناحِ تهـونُ عليك القُـوى العـاتيـه
فَـعـرْشُكَ حيثُ يكْونُ العـلاءُ وغـيـرُك للسـفحِ والهـاويه

وعـشتَ عـيـوفَـاً كـريمَ المقـامِ رفـيـعَ المرام.. أبيَّ الشّـممْ
لذلك صـرتَ «شـعـارَ» الجيـوشِ يُرفـرفُ فـوق نواصي الأُمَمْ
ورمـزَ الكفـاح السّـعيـرِ المريرِ إذا ديسَ منـهـا بأرضٍ حَـرَمْ

* * *

كـذلك كنتَ، فكيفَ ... هويتَ مُـغـيـراً.. تجـورُ على عُـشِّـهـا
وتزحفُ كـاللصّ في ليلهـا لتـسـتلَّ بالغـدرِ من قـشّـهـا:
نخـاعَ صـغـارٍ ضـعـافٍ رقـاقٍ تمتّـعنَ بالدفءِ في ريشِـهـا

وكانت تعانقُ شوقَ الحياة ويَهزَجُ في جانبيْها الزّغَبْ
فلما هبطتَ كحلمٍ كئيبٍ يسدُّ عليها دروبَ الهربْ
تهرَّبَ من شفتيها الهديلُ وأخرسَها منك سيفُ الرهَبْ

فيا ويلها إذْ دهاها الغَشومُ ومخلبُهُ القاتلُ.. الأعقفُ
نهومٌ بزرع الأسى والجراحِ خسيسٌ بغيُّ الهوى مجحفُ
فأمتعُ ما يشتيه الدماءُ إذا ما الجراحُ بها تنزفُ

* * *

ويطلُعُ فجرٌ مريضُ الضياءِ على «صَوْصَوات» الأسَى والألَمْ
وبعضٍ من الريش فوق الغصونِ وبعض من القشِّ يعلوهُ دمْ
وفي السفحِ تشهدُ أيْكا كئيبا ضريرَ الفؤاد.. حُطاماً أصمْ

ونسراً تخلّى عن الناطحاتِ ليهبطَ منها... على قاعِها
ويزحفَ زحفَ الأفاعي اللئامِ كأنّي به صيغَ من طَبْعِها
وينزلَ ضيفاً عزيزاً عليها فتُكرمُ مثْواهُ في ربْعِها

ألم ترهُ باحثاً في الترابِ عن الدود أو عن بقايا الرمَمْ
أسيرَ الهبوطِ الذميمِ الحقير ذليلَ الجناح كسيحَ الهممْ
فما عادَ يُدعى «مليكَ الطيور» ولكنْ... عدوَّ العلا والقممْ

العقاد..* والأسوار المنهارة

قمْ يا مَلِكْ
يا أيها الثاوي بأرض المجدِ
في أسوانَ قُمْ
قم يا مليكاً عرشُهُ كان القلوبَ
وتاجُهُ كان الإباءَ
وجيشُهُ كان القصيدَ
ومدفعيَّتُهُ القلمْ

***

قمْ وانفض النومَ الطويلَ
ولا تنمْ
إذ ليس مثلك للترابِ
وللنفادِ وللعدمْ
لكنَّ مثلك للفيالق
والمعارك
والتصدي
والمبادئ
والقيمْ

---

* ألقيت في مهرجان العقاد بمدينة أسوان ٢٨/١/١٩٩١م.

قم لا تنمْ
إن القشاعمَ لا تَقِرُّ على الثرى
لكنَّ عيشتها .. وأيضاً موتَها
فوقَ القمَمْ

***

قم يا مَلكْ
واشهد ضحاياك الكثارَ
من القياصرة الكبارْ
من فلسفات ملحدات
من اليمين أو اليسارْ
المنكرات اللهَ والإنسانَ
والقلبَ المؤمِّلَ والمنارْ
الساريات بغفلة العقل الرشيدِ
إلى الديارْ
فإذا الحصيلةُ ضَلَّةٌ
وعمايةٌ
وتهتكٌ
وتخلفٌ
ودمارُ.. يتبعه دمارْ
قم واشهدَنْ صرعاك
خَرّوا..
لاذمارَ.. ولا وَقارْ
سحقتهمُ دعواكَ...

والأمُ السجينةُ
حين هبت نارها ذات الأُوار
غُذِيَتْ بريح صرصر
فغدت سعيراً. في سُعارْ
فشهدتَ مصرعَ بعضِهِمْ
والبعضُ أنت صرعتهمْ
من قبل أن يَلْقَوْاْ مصيرهمُ البئيسَ
ألا ترى؟
عجباً لمن يُردى عدوَّ الشعبِ
والقيم الرِفيعةِ
وهو في أسوان
من تحت الثرى
لكنها لا تعجبنْ
مما جرى
« فالناس صنفان:
موتى في حياتهمُ
وآخرون ببطن الأرض أحياءُ»
والحق أنك كنت ـ يا عقادُ ـ
في ساح الوغى
خيرَ الفوارسْ
فكمثل طبع الأريحيّين الفوارسِ
أنت قد أنذرتهمْ..
ونصحتهمْ

قبل النوازل والنزالْ :
« صونوا المبادئَ والقيمْ
وارعُوا الكرامة والذممْ
من قبل أن تنقَضَّ فوقكمُ
الصواعق والحممْ
لكنهم رفضوا النصيحةَ
واستهانوا بالشعوبْ
فَبَنَواْ من الأحجار والفولاذ
أسواراً تعز على المدى
قامت على الدمِّ الصبيبْ
وعلى الجماجم والضلوعْ
وعلى المظالم والدموعْ
النازفاتِ من الحنايا والقلوبْ
***
كم قلت - يا عقاد -
إن الفطرة الشماءَ
تأبى أن يكون الآدميُّ
بآلة ترساً يدور
كم قلت :
« إن الدينَ ليسَ مخدِّراً
وغمامةً
وغيابةً
لكنه للعقل زاد والشعورْ

والدينُ تحريرٌ
وإبداع ونوْر:
فالعلم فيه فريضةٌ
تزهو على هام الدهورْ
وعقيدة التوحيد
جوهرة الوضيء المستنيرْ
انظر إلى التاريخ في أبهى العصورْ
ماذا يقول؟
«بالعلم والتوحيد
هب المسلمون
فيالقاً.. وكتائبا
تغزو القلوب الغلْفَ
ـ لا بالظلم والسيف المبيرْ ـ
لكن بنور العلمِ والتوحيدِ
والحق النضيرْ
فإذا الوجودُ منارةٌ
وإذا القفار المعتماتُ البورُ
جناتٌ وحورْ
هذا هو الدين الذي أحيا المواتَ من
القلوبْ
كذب الألى قالوا بأن الدين أَفيونُ الشعوب
***
قم يا مَلِكْ

«البرلمانيون» علمهُمُ هنا
وهناك في كل الدنا..
إن، النيابة، أن يكونَ ممثلُ الشعبِ العريقْ
نبضاً أمينْ
ولسانَ صدقٍ لا يخاتلُ
أو يجاملُ
أو يهونْ
لا واحداً في الإمعات
الهاتفين الراقصين
أو «فارساً» في الناهبين السارقين
الفاسدين المفسدين
قم ياملك
علمهُمُ
كيف انتفاضُ الحر بالقول السعيرْ
ذكّرْهُمُ .. إذ قلت يوماً
قولك الفذ الخطيرْ
«دستور أمتنا هو العرضُ المفدى
والمصون
ومن استهان به سنسحق رأسه
حتى ولو كان الوزيرْ؟
قم يا مَلِكْ
وانشر لواءَكَ من جديدْ
وابعث فيالقك العتيدةَ..

بالعقيدة . . والقصيدة . . والنشيدْ
مازال ثمة باقياتٌ
من فساد . . أو لصوص أو يهود
فلترمهمْ
بقذائف الكلم العتيد
فالكلْمة الشماءُ
أقوى من حصونهمُ الحجارةِ
أو عتادهمُ الحديدْ
فاهتك ستورهمُ
ودُكَّ بقية الأسوارِ
في حزم عنيد
واصهر حديدهمُ العضوضَ
وحرر الناس الألى اتُّخذُوا عبيدْ
حتى يسود العدل والشورى
وروحُ الحب والفكرُ الرشيدْ
قم يا ملك
واشهد ثماراً يانعاتٍ
قد وضعتَ بذورها
ورويتها من ماء قلبكَ
والمداد الحرِّ
والفكر النديْ
وسهرت ترعاها
وتمنحها العطاء الفائق الثر النقي

فاليوم - يا عقاد - عيدك
في الشمال
وفي الصعيدْ
قم حي هاتيك الحشودْ
القادمات تلي حشود
جاءت تهنيء نفسها
في يومها الراقي المجيدْ
في يوم مولدك الجديد
يوم اليراعةِ
والبراعةِ
والأمانةِ
والسيادةِ
والسعادةِ
والخلودْ
فاليوم في أسوان
بل مصر..
وأرضِ العُرْب،
والأكوانَ عيدٌ
أيُّ عيدْ!!

في وداع رمضان

* لا يا أمير الشعراء !!

رمضانُ ودَّع وهو في الآماق(1) ... يا ليته قد ظل دون فراق
ما كان أقْصَرَهُ على أُلأَفِه ... وأحبَّهُ في طاعة الخلاق
زرع النفوسَ هدايةً ومحبةً ... فأتى الثمارَ أطايبَ الأخلاق
«اقرأ» به نزلت ففاض سناؤها ... عطْراً على الهضبات والآفاق
ولِلَيْلة القدْر العظيمة فضلُها ... عن ألف شهرٍ بالهدى الدفَّاق
فيها الملائكُ والأمينُ تنزَّلوا ... حتى مطالعِ فجرِها الألأَق
في العامِ يأتي مرةً، لكنهُ.. ... فاقَ الشهورَ به على الإطلاق
شهرُ العبادةِ والتلاوة والتُّقى ... شهرُ الزكاةِ، وطيِّبِ الإنفاق

* * *

لا يا «أميرَ الشعرِ» ماولَّى الذي.. ... آثارُه في أعمق الأعماق
نورٌ من اللهِ الكريم وحكمةٌ.. ... عُلْويةُ الإيقاعِ والإشراق
فالنفسُ بالصوم الزكيِّ تطهَّرتْ ... من مأثمٍ ومَجانةٍ وشقاق
لا يا «أميرَ الشعرِ» ليس بمسلمٍ ... من صامَ في رمضان صومَ نِفاق
فإذا انتهتْ أيامه بصيامِها ... نادى وصفَّقَ(2) : (هاتها يا ساقي)

---

* هذه القصيدة معارضة لقصيدة أحمد شوقي التي مطلعها:

رمضانُ ولّى.. هاتها يا ساقي ... مشتاقة تسعى إلى مُشتاق

(اللهُ غفارُ الذنوب جميعها .. إنْ كانَ ثَمَّ من الذنوب بواقي)[٢]
عجباً أيَضلَعُ في المعاصي آثمٌ لينالَ مغفرةً بلا استحقاق؟!!
أنَسيتَ يوم الهول: يومَ حسابه حينَ التفافُ الساقِ فوقَ الساق؟
وتَرَى المنافق في ثياب مَهانةٍ ويُساقُ للنيران شرَّ مساقِ
لا «يا أميرَ الشعر» ما صام الذي رمضانُه في زُمرةِ الفسَّاق
لا يا «أميرَ الشعر» ما صام الذي مَنَعَ الطعامَ، وهمُّهُ في «الساقي»
من كان يهْوَى الخمْرَ عاش أسيرَها وكأنَّه عبدٌ بلا .. إعْتاق
الصومُ تربيةٌ، تدوم مع التُّقَى ليكون للأدواءِ أنجعَ راقي[٣]
هو جُنَّةٌ[٤] للنفسِ من شيطانها ومن الصغائرِ والكبائرِ واقي
الصوم - يا شوقي - إذا لم تَدْرِه نورٌ وتَقْوَى وانبعاثٌ راقي[٥]

* * *

واسمع - أيامَنْ أمَّرُوه بشعره - ليسَ الأميرُ بمفسد الأذواق
إن الإمارةَ قدوةٌ وفضيلةٌ ونسيجُها من أكرَمِ الأخلاق
والشعرُ نبضُ القلبِ في إشراقه لا دعوةٌ للفسْقِ والفُسَّاقِ
والشعرُ منْ روحِ الحقيقةِ ناهلٌ ومعبِّرٌ عنْ طاهرِ الأشواقِ
فإذا بَغَى الباغي بَدتْ كلماتُهُ كالساعرِ المتضرمِ .. الحرَّاقِ
وإذا دعتْهُ إلى الجمالِ بواعثٌ أزْرَى على زريابَ أو إسحاق[٦]
لكنه يبقَى عفيفاً .. طاهراً كالشهْدِ يحلو عند كلِّ مَذاق

* * *

رمضانُ - يا شوقي - ربيع قلوبنا فيها يُشيعُ أطايبَ الأعباق[٧]
إن يمْضِ عِشْنَا أوفياءَ لذكرِهِ ويظلُّ فينا طيِّبَ الأعراقِ

(١) الآماق : العيون .
(٢) ما بين القوسين من قصيدة شوقي .
(٣) راق : من الرقية أي : معالج .
(٤) جُنّة (بضم الجيم) : وقاية وحماية . وفي الحديث النبوي « الصوم جُنة » .
(٥) راق : سام رفيع .
(٦) زرياب وإسحاق من أشهر موسيقيي العرب .
(٧) الأعباق : جمع عبق : وهو الرائحة الطيبة .

رثاء عمر بهاء الدين الأميري

أبا البراء سلاماً

كم أسعد الدهرُ أيامي وهنَّأها — وكم رماني بخطب جاء يشقيني
لكنه اليوم شد القوس عاتية — وأطلق السهم في قلبي ليصميني
أصاب مني سويدائي فهتَّكها — وليس ثمّة من طب يداويني
وليس مَنْ حَلّ قلبي غيرُ واحده — «عُمْرُ البهاءُ الأميري» شاعرُ الدين
«أبا البراء» أأرْثي فيك شاعرنا — وكيف أقدرُ أن يُوفيكَ تأبيني؟
وأنت رب بيانٍ عزٍّ موردُه — كلؤلؤٍ فاتن الإشراق مكنون
أبي وعمي ونفسي أنت كلهمُ — يا ليتَ نفساً تُفدّى بالقرابين
إذنْ فديتك بالأهلينَ قاطبةً — وفي فدائك: أَرخِصْ بالملايين
ألمّ أعشكَ بأشعارٍ مجنحةٍ — فطرتُ عشقاً «كأني لستُ من طين»؟
وصرتُ «ألوانَ طيفٍ» في تألقها — وصرتُ غيري، وغيري في شراييني
وروضة «المصطفى» في القلب مشرقة — شلالُ حُبٍّ يوافيني ويُحييني
وفي «النجاوى» نجاةُ النفس من كدر — في عالمٍ غارقٍ في الإثمِ مرهونِ
فإن رققتَ فقلب ذاب مرحمةً — وفي يمينك يعلو غصنُ زيتون
منهُ يسيل قصيدٌ عاشقٌ عطرٌ — وبلبلُ الروض يشدو بالأفانين
ويصبحُ الكونُ جناتٍ منمقةً — كأنّ أشجارَها من حورها العين
حتى إذا مسّ عادٍ عِرْضَ أمتنا — أوْهمَّ يخدشُ شيئاً من حمى الدين
أضحى قصيدُك هَوْلاً ملْؤُه ضَرَمٍ — فليس غيرُ سعيرٍ أو براكين

وأصبحَ القلمُ السيّالُ عاصفةً تجتاح كل دعيّ الفكر ملعون
فَدَكَّ دعواهُمُ بالحق في ثقةٍ ومزَّق السِتْر عن غِرٍّ ومأفون
إن الحليم إذا ما ثار ثائرهُ فليس منه سوى جمرٍ وغِسلين

* * *

يا سائحاً في سبيل الله غربتُهُ وما ذللتَ وما استسلمت للهَون
في الشرق والغرب تمضي تحت رايته في درب «أحمدَ» والغُرِّ الميامين
لئن جفتْكَ بلاد أنت صفوتُهَا فافخرْ بأنك لا، لم تَرْضَ بالدون
نزلتَ في كلِّ قلب مؤمن سكنا من الرباط.. إلى مصرٍ.. إلى الصين
«رصيدكُ» الضخم حُبٌّ لا نفادَ لهُ يجودُ بالروح دوماً والرياحين
فما اغتربت ولكن ظلَّ مغتربا من عاش في أرضه عيش الملاعين
حيث الحقيقةُ تاهتْ في غيابتهمْ وخلفها ألفُ جزارٍ وسكين
لكنّما عشتَ همّاً ضارياً نهماً همَّ اغتراب وهمّاً من فلسطين
وهمَّ كلِّ شريدٍ مسلمٍ ضربتْ به الفجاجَ تلافيقُ السلاطين
أكلما شبَّ جرح في مشارقها تبيتُ بالمغرب الأقصى كمطعون
وتنزفُ النزفةَ الحرَّى مبرِّحةً وكنتَ درعاً لموجوع ومحزون

* * *

يا عاشق «الكعبة الغراء» من دنَفٍ كم ذبتَ نوراً مع «الأحقاف» «والتين»
وعانقَتْ روحُك السمحاءُ فتنتَها في الذارياتِ وفي قافٍ وفي نونٍ
وفي المثاني وجدتَ الريَّ من ظمأٍ وجنَّةَ الروحِ في طه وياسين
وكم صرختَ بقلب يغتلي ضَرَمَا «يا جندَ طهَ أعيدوا مجدَ حطين»
«أبا البراء» سلاماً لا تُرَعْ أَبَداً نمضي ـ كما شئْتَنا ـ شُمَّ العرانين
وما زرعتَ سيؤتي كلَّ باسقةٍ تغيظ كلَّ كفورِ القلبِ مجنونِ
فاهنأ مع النبيين في نُعمى ومكرمةٍ وانعمْ بعَدْنِ وأجرٍ غيرِ ممنون

أمير العاشقين *

وعــشتَ غــريبــاً . . ومتَّ غــريبــا ... ولـكنمــا مــا فــقــدتَ اليــقينْ
فليـست بسُكنى الوكـور النسـورُ ... وليـستْ أسـودُ الشَّـرى بالعـرين
فـقـد يعـتلي البـومُ شُمَّ الجـبـال ... ويؤوي النمــالَ العــرينُ الركينْ
وتمضي أبيًّــا، فـــأنّى انتــقلت ... فـــفي بُرْدِكَ المجـــدُ نورٌ مـــبينْ
ومـــادت جـــبـــالٌ وذلت رجـــالٌ ... وقلبُكَ بـالحق. . . لا يســـتكينْ
وهيــهــات مــثلُكَ أن يُســتــذَلَّ ... فـــمـــثلك يؤثر قطعَ الوتينْ
ومن عـاش جـبـهـتُـهُ في السـمـاءِ ... تَـرفَّـعَ أن ينـحـني أو يهـــونْ
فلـله عـــــزتُـه. . . والرســـول ... وَعَـــزَّ بعـــزَّتـه المؤمنـون
وقـــالوا بـأنـكَ ضـــــدٌّ الولاءِ ... وضــدٌّ الحـضـارة و«المنقــذين»!!
وتنكرُ «قـــومـــيـــةَ» المخلصين ... ومـــا هي إلا انتــصـــار مــبينْ!!
وفـهــمُكَ للدين فـهـمٌ عـتـيقٌ ... يُدمِّـر عــقل الشــبـاب الفطينْ!!
أيا عــمــرَ الخـيـرِ أنت الصــدوقُ ... وزمـــرتُـهُمْ زُمْـــرةُ الكـاذبين
فــمـــا كـــان إثمك إلا النقـــاءَ ... وإيقـــاظَكَ النُّوَّمَ الغـــافلين
وشـــعـــراً يؤرِّقُ ليلَ البُـــغــاة ... ويخلعُ قلب الغَـــويِّ اللعينْ
ودعــوتُكَ: «الدينُ حكمٌ وجنسٌ ... وروحٌ وجـــســـمٌ ودُنيـــا ودينْ
وخـــيـــرٌ وخـــيلٌ وحبٌّ وعلمٌ ... ونفسٌ تموتُ وتأبى تهـــــونْ»
ولكنَّ «قـــومـــيـــةَ» الأدعـــيـــاء ... فـــســـادٌ وغَيٌّ وظُلْمٌ مُـــبينْ
بهـا انتُـهكَ الشَـرفُ اليـعـرُبيُّ ... وهُتِّكَ عـرضُ البــلاد المَصُـــونْ

* بمناسبة مرور عام على وفاة عمر بهاء الدين الأميري.

أرادوك أن تنحني للرياحِ ... لتحيا حياةً... بها ينعمونْ
تعانق زُخْرُفها في هناء ... وتنشرُ دِفْئَكَ فوق البنينْ
فلا أنت تتركهم للفراق ... ولكن بقربك هم يسعدونْ
وتصبح صاحبَ أمرٍ ونهي ... ومالٍ وأرضٍ وقصرٍ ثمينْ
وفي يدكَ الحَوْلُ والصولجانُ ... ودربُك فرشٌ طريّ فتينْ
فلما رأيت الخَنَا إذْ يَسُودُ ... وأن النفاقَ وسامٌ ودينْ
وكيف يعزُّ المَهينُ الخسيسُ ... وكيف يُهانُ الحفيظ الأمينْ
وكيف انطوتْ قيمٌ ساميات ... وكيف استبد البُغاثُ المهينْ
هتفتَ: «المنايا وليس الدنايا ... مرامُ الأباة من المؤمنين»
مقامٌ جليل بلغتَ ذُراهُ ... فهانت عليك الدُّنى والبنونْ
فدربٌ جفَاك، ودربٌ حدَاكَ ... به قد مَضَيتَ أشَمَّ الجبينْ
مع الله في دربه المستقيم ... وأنْعِمْ بدربِ الإله المُعينْ
فما بين شرقٍ وغرب تعيشُ ... مآسي الضحايا من المسلمينْ
بروح زكيٍّ، وقلب شجيٍّ ... وشعرٍ غنيٍّ قويٍّ رصينْ
تحملت آلامهم ما وَهنْتَ ... ومنها المبينُ ومنها الدفينْ
وعشتَ على الألم العبقريِّ ... تدُكُّ حصوناً وتبني حُصونْ
وتستنهض الهممَ الفاترات ... لتخليص مسرى النبيِّ الأمينْ
وتمضي كطيفٍ شفيفٍ طليقٍ ... لتُحْشَرَ في زُمْرَةِ العاشقينْ
فعشقك ليس كعشق الذين ... قصائدهم في الهوى بالمئينْ
يناجون هنداً بها أو بُثينَ ... ولَيْلى بقلبٍ مَشُوقٍ حزينْ
ولكن عشقْتَ المعاني الكبارَ ... بعزمٍ حديدٍ أبَى أن يلينْ
وهمتَ كيانا زكيَّ العبير ... «بروضة طَه» هُدى العالمينْ
وفي كعبةِ البيت قد صرتَ خلْقاً ... من الحُبِّ والطهرِ والياسَمينْ

فـهـذا هو العـشـق ـ لا عـشـقـهُـمْ ـ سُــمَــوٌّ وتقــوى ونبضٌ حنونْ
وقــد صــيغَ في كَلِمٍ عــبــقــريٍّ هو الســحــر لا كـالذي ينظمــونْ
فــشــتَّــان مــا عندليبٌ غــريدٌ ومن يهــرفــون بما يجــهلونْ
فــشــعــركَ منهلهُ من عــبــيــرٍ ومن حــمــأٍ عــفنٍ ينحــتــونْ
فـهل يسـتـوي شـاعـرٌ مُـسـتنيـرٌ وعُـمْيُ البـصـيـرة؟ لا يسـتَـوُونْ
بـشــعــرك علَّمــتنا أن نكونَ وأرســيتَ فــينا جــذورَ اليــقينْ
وعلمــتنا الصــبــرَ في النازلات وألا نـكـون مـن القـــانـطينْ
وعلمــتنَا أن نحبَّ الحــيــاةَ جــهــاداً وصــبــراً وعلْمــاً ودينْ
ولـكـنْ كـــدارِ بـلاغٍ . . لـدارٍ تَقَـرُّ بهـا ـ في النعـيم ـ العـيـون
كـــذلك عــشتَ رفــيعَ اللواءِ كـــريمَ العطاء . . تَقــيّـــا أمينْ
ومـثلُكَ إنْ مـاتَ جـسْـمـاً سيـبـقَى وِســامــاً يُحلّي صُــدور القُــرونْ

سرايفو... الدماء والأعراض

جِئْتُ والشوقُ سابقٌ لَمسَاري — «لسَرَايِيفُو» نُزْهَةَ الأنْظارِ
لَمغانيها الراقصات من الفتْـ — ـنَة والسِّحرِ والنّدى المِعْطارِ
لأعيشَ الربيعَ يزْهُو اخْتِيالاً — وشروقاً يفيضُ بالأنوارِ
غيرَ أنّي شهدْتُ فيها المنايا — كالحاتٍ في أعْظُمٍ .. وَدَمارِ
ها هي الشمْسُ في وِشاحِ ظَلامٍ — مِنْ دُخانٍ مُعَرْبِدٍ .. وَغُبارِ
ويُريكَ المساءُ مِنْ شدّةِ النّا — رِ نهاراً .. فيا له مِنْ نَهارِ!!
بعدَ أنْ عاثَت المجاحمُ فيها — وانفجارٌ يتْلوهُ ألفُ انْفجارِ
لم يَعُدْ غيرُ باطنِ الأرْضِ للنَّا — سِ مَلاذاً مِنْ ظَهْرِها الموّارِ
فإذا الغائرُ العميقُ مِنَ الأرْ — ضِ جحيمٌ من اللَّظَى والشَّرارِ
والديارُ العَمارُ أينَ أراها؟ — هذه الأرضُ قَدْ خلَتْ مِنْ ديارِ
فإذا ما نَجَتْ مِنَ النّار دارٌ — لمْ تُشاهدْ بالدار مِنْ دَيَّارِ
والرياضُ الغَنَّاءُ ذابتْ من النَّا — رِ وصَارَتْ لَظًى على الأطْيَارِ
رُبَّ سَارٍ بالليل داسَ قُلُوبا — وعيوناً - في الأرضِ ذاتَ احْورارِ
خفّف الوَطْءَ - يا رعاكَ إلهي - — ذا دَمٌ مُسْلمٌ كما الأنْهارِ
ورُؤوسٌ من الضحايا تهاوتْ — خالَطَتْ مُحْرَقاً من الأشْجَارِ
ورَضيعٌ يمتصُّ حَلْمةَ ثدْيٍ — بينما الأمّ فُحِّمَتْ مِنْ نَارِ
وكتابٌ بكفٍّ تلميذةٍ غنّـ — ـتْ لمستقبَلٍ بلا أوْزارِ
أخْرَسَتْها ومزّقَتْهُ الشظايا — فامّحى الحِبْرُ بالدمِ المدْرارِ
وحِمَى الدينِ قدْ غدا مُسْتباحاً — و«سرايِيفو» مالَها من ذِمارِ

والمحاريبُ قد علاها ظلامٌ   بعدما أهْدرُوا دمَ الأنْوارِ
وعَذارى لعِرْضِهنّ نشيجٌ   يُشْهِدُ الفجْرَ بالصراخ الجَهار
اسْتباحتْ عفافَهُ ودماهُ   عُصْبةُ الكفْرِ والهوى الغدَّارِ
وصحا الفجرُ راثيا طُهْرَ عرضٍ   دامعٍ نازفٍ من الأظفارِ
ونيوبُ الكلابِ في الجسدِ   الغَضِّ تمادتْ كَمُدْيَةِ الجزَّارِ..
وكؤوسٌ من الدِّمَا مترعاتٌ   بأكفٍّ منهومةٍ مِنْ سُعَارِ

* * *

لَمْلِمي يا ابنَتي نَزيفَ جِراحٍ   وبَقَايا مِنْ دَمْعِكِ المنْهارِ
وهشيماً - بالأمس كَان زُهوراً -   وبقايا مهْتوكةً مِنْ إزَارِ
وحذاءً مِنْ إرْث طفْلٍ شهيدٍ   لمْ يُمَكِّنْهُ رُعْبُهُ مِنْ فِرار
واقْذفيها - بِكلِّ ما فيكِ مِنْ كَرْ   بٍ وآلامٍ - في وجوهِ الكبارِ
فَهُمُ سادةُ الخديعةِ والأمْـ   ـرُ إليهمْ في «مجلسِ التجَّار»
حيثُ حَقُّ المظلومِ فيه هباءٌ   والقرارُ الأخيرُ للشُّطَّارِ
فإذا قالَ غيرَ ذلك قَومِي   مِنْ جِراحٍ شدَّتْكِ في إصرارِ
واسْأليهم - والحقُّ يملأُ بُرْدَيْـ   ـكِ شِعاراً - أنْعِمْ بِه مِنْ شعار
ألأَنِّي رَضِيتُ بالله ربَّا..   ورَضِيتُ الإسلامَ ديني وَداري
ولأنِّي اتَّبعْتُ خيرَ نَبيٍّ   وتَلَوْتُ القرآنَ في الأسْحارِ
واتَّخَذْتُ العَفَافَ درعاً طهوراً   وتَحشَّمْتُ بالتُّقَى والوقَارِ
ورَفضْتُ الحرامَ في الحانَةِ السِّكْـ   ـرَى أبيعُ المتاعَ للسُّمَّارِ
ألهذا يُباحُ عِرْضي.. ودارِي   وبلادي بِشرْعَةِ الفُجَّارِ

* * *

أينَ مِنَّا «محمدُ الفاتحُ»(*) المغْـ ـوارُ يَمْـضي بالفيلقِ الهَدَّار
حين - يوماً - يقـودُ أسطوله الفَـ ـذَّ، ويوماً بجيْشه الجرَّارِ
يُرْعبُ البغْيَ حينَ يَمْضي فتهوي شامخاتُ القلاعِ والأسوار
رافعاً رايةً تَسامَتْ وعَزَّت إنَّها رايةُ العُلا.. والفخارِ
صوْتُهُ الحقُّ، والسيوفُ المواضي في نحور البلقان.. والبْلغارِ
أيْنما سارَ هادَنتْهُ الليالي وانتصارٌ أتاهُ تلْوَ انتصارِ
وهَوَتْ قُسْطَنْطينةُ الكفْرِ حَسْرى بيَدِ الفاتحِ العظيمِ النِّجَارِ
وتسامَتْ مآذنُ الحقِّ فيها.. وتعالى الأذانُ في الأسْحَارِ

* * *

هلْ تهبُّ الغداةَ يا «فاتحَ» الأمْـ ـسِ لقومٍ كانُوا من الفُرَّارِ
ثم صارُوا في غيبةِ الأُسْدِ أُسْداً فَهُمُ اليومَ سادةُ الكُرَّارِ
وإذا ما خَلا العَرينُ من الآ سَادِ أضْحى العرينُ سُكْنَى الفارِ
وإذا غَابَت النُّسورُ تَعالى في حِمى النِّسْرِ تافهُ الأطْيارِ

* * *

هلْ سمعتَ الغداةَ يا «فاتحُ» للصِّرْ بِ وما جَمَّعُوا من الأنْصارِ
أقْسَمُوا لنْ يكونَ في «البُسْنِ والهَرْ سكَ» إسلامُ بل صَليبُ العارِ
ورَمَوْنا بعارهِمْ ثم راحُوا يَزْدهي عَارُهمْ بوهمٍ ضَارِ
ونَسوْا أنَّ شرَّهَمْ إن يَحُزْ في يَوْمِهِمْ ذاكَ جَوْلَةً في المَسَارِ
فَسَيَهْوي غَداً زَهُوقاً لعيناً في هوانٍ وذلّةٍ وانكسارِ
فالبقاءُ الأصيلُ للحقِّ مَهْما.. طالَ بغيُ الدَّعيِّ.. والجبَّارِ
والظلامُ الخسيسُ مهْما تَمادى سوفَ تطوي مَداهُ شمسُ النهار

---

* محمد الفاتح: هو الخليفة العثماني الذي فتح هذه البلاد أواخر القرن الخامس عشر.

زيارةٌ فوق العادة
للخيول العربية

سـعـيْتُ إليكِ كطيف جـريح | كـسـيـرَ الفـؤادِ حـزيناً عليـلاً . .
سعـيتُ يُمـزِّق خطوي الضيـاعُ | ومـا غـيـرُ شـوقي إليك الدليـلا
لكيـمـا أعـانق فـيك الإباءَ . . | وأتلوَ سـفـرَ عُـلاك الجليـلا
وأسـتنشقَ العَـبقَ اليـعـربيَّ . . | وعَـزْمـا عنيـداً ومـجـداً أثيـلا
فـينداحَ يأسي ويذوي أسـايَ | ولـكنني لم أجـدْكَ الخـيـولا
ولكنْ بقـايا نعـاج . . عـجـاف | مـفككة العـزم تحكي الطلولا
وفي مـقلتـيك ذبابٌ مـقـيمُ | ليـمـتص منك البـريق الأصـيـلا
ومـضـمـارك الفـذُّ أضحى حـلالا | لمن يبـتـغيـه، وقـد كـان غـيـلا
أشـاهدُ كلبـاً عـقـوراً . . به | وذئبـاً حـقـيـراً . . وضـبـعاً هزيلا

* * *

فنامي ونامي، فـلا الفـجـرُ لاحَ | وليلُك يبـدوُ طويـلاً . . طويلا
وفي سـاحـة الهـول لا النقعُ ثارَ | ولا « خـالدٌ » جـاء يحـمي القـبـيلا
ولا « سـعـدُ » قـام يشقُّ الصـفـوفَ | ليـجـعل جـيـش الأعـادي فُلولا
ولا الرمْح سُـدِّد نحـو النحـورِ | ولا السيفُ عـاد حُسـامـاً صـقـيلا
فلن تسـمـعي قـعـقـعـات الرمـاحِ | ولن تسـمـعي لسـيـوفٍ صليـلا
ولا تعـجـبي فـهـمُ . . كَـفَّنُوها . . | بـأغْـمـادِ ذلٍّ أبى أنْ يَـزُولا
وأنَّى لـك اليـوم أن تـنـهـضي | وإني أراك كـثـيـبـاً مـهـيـلا

ولو قــدْ نهــضتِ فــمــا من غَنَاء	وسـعيك مـا عـادَ يُجدي فـتيلا
ومـا قـيـمـة السـعي إن لم يحـقـقْ	إبـاءً وضــــربـاً يُرَوِّي الـغـلـيـــلا

* * *

فنامي، فليس ســوى أن تنامي	ومــا عــدت تمتلكينَ البــديلا
ولا تحـلُـمـي بـانـطـلاقٍ جـلـيـل	يـرودُ السّنا والذُّرا والسُّــهـــولا
تعـيـشين فـيـه ابـتـسـامَ الصـبـاح	وشـمـسُ الأصـيـل تناجي الخـميـلا
وعــشـــبـــا نـديـاً لـذيـذَ المذاق	وريحـاً رخـيـاً وظلاً.. ظليـلا
ولحناً يـجـــــودُ به في الربـيـع	خــريرُ مـيـاهٍ جَـرَتْ سَلْسَبِيـلا
يجـاوبُ فـيـه حـفـيـفَ الغـصـونِ	وتـغـريدَ حـسُّـونهـا والهـديلا

* * *

وإياكِ أن تصْـهَلي فـالصـهـيـلُ	سيحـرمك العشبَ عـرضـاً وطولا
ولا تضبَحي، فـالضُّبـاح سيـغـدو	إذا مـا ضـبـحـت.. دمـاً أو عـويلا
هو الصـمتُ: أصبح أعلى مقـاماً	وأجْـدى مـرامـاً وأقْــومَ قـيـلا
وإيـاك أن تحـلُـمـي.. بـالإبـاء..	فـإن الإباء.. غـدا مسـتـحـيـلا
فنـامي وشُــدِّي عليك الغطاءَ	كثيفاً.. كثيفاً.. ثقيلاً.. ثقيلا
فــمن لم ينم تاه منه الطريق	ونالَ من الكرب حظاً وَبيــلا..
ولا تســـأليـنـيَ: أين الدليلُ؟	فـقـد خـدَع القـومُ عنك الدليـلا
ولا تسـأليـنيَ: أين السـبـيلُ؟	فـإنّيَ أيضـاً ضللتُ السـبـيـلا
فــهــذا الزمـان الجـديـبُ الذي..	به حـرمـوا الحـر حـتى الرحـيـلا
وفـيـه اختـفـت مكرمـاتُ الرجـالِ	وأنـكـر كـلُّ خـلـيـلٍ خـلـيـــلا
وعــاش به الحـر يخـشى الحـيـاة	ويخـشى المماتَ ويخـشى المقـيـلا

* * *

حنانيك نامي وشُدي الغطاءَ   ولو كان نسج الغطاء الوحولا
فإني رأيتُ الخزايا تسودُ..   وشاهدت «عنترَ» عبداً ذليلاً
وقد ماتَ في شفتيه القصيدُ..   على جلده السوطُ يهوى مَهُولا
يُنادى عليه: «أمن يشتريه»..   ويدفعُ فيه البخيسَ القليلا؟
و«طارقُ» شُدَّ عليه الوثاقُ   يُعذَّبُ في السجن حتى يميلا
وينكرَ ما صاغه من فتوحٍ   وحقق فيها انتصاراً جليلا
ليحنيَ قامَتَهُ.. للدعيِّ..   ويُتركَ «لُذْريقُ» كيما يصولا

* * *

وشاهدتُ «حاتم» عند القُمامة   يَنْشُدُ فيها فُتاتاً هزيلا
يغمِّسهُ في دموع الهوان   وقد كان بالفضل براً وصولا
فمنْ قبل شُدَّتْ إليه الرِّحالُ   ليَقري الجياعَ، ويأسُو العليلا
فوا حسرتا لأمير الكرام!!   وقد باتَ يسألُ نذلاً بخيلا

فرسان الحدود
في مرج الزهور

لملمْ جـــراحَكَ يا طَريدْ وتحلَّ بالعَــزم العنيــدْ
قــد يْعــتــريكَ الشــوقُ للزوجِ الحـزينة والوليــدْ
ذاك الذي شــهــدَ الوجــودَ وأنتَ بالدّرب الشــريدْ
مـا نالَ منكَ القُـبلةَ السـمـحـاءَ في خـدٍّ وجـيـدْ.
لكنمـــا لا تَبْـــرحَنّ الأرْضَ. واحْـــتَـضِنِ الحُـــدود

* * *

ولقـد تُعـاودك الـهـمـومُ بوجـهـهـا العـاتي النكيـد
وتجــوع إذ حــرمــوك حــتى كــســرةَ الخـبـزِ القــديدْ
وتبـيت مـقـروحَ اللّهـاةِ تصـارع الظمـأ الشـديدْ
ويحل ســاحــتك الســقــامُ المرُّ في نهم حــقــود
لكنمـــا لا تبـــرحَنَّ الأرضَ واحـــتــضن الحـــدودْ

* * *

ولقـــد ينـاديكَ المنادي من قـــريـب أو بعـــيــدْ
«اتركْ حــدودَكَ وارتحلْ عندي لك العـيش الرغـيـدْ
غـــادر فلسطينَ المخـــاطرِ للهناءة.. والثـــريدْ
حيثْ السعـادة .. والسلامـة، والغِّنى الجَمُّ المديد»
فــاحــذرْ، ولا تَقــبلْ وعــودَهُمُ، ورابطْ في الحــدود

* * *

قـد تمطرُ الدنيـا صُـخـوراً أوْ لـهـيـبـاً . . أو جَليـدْ
أو تـزأرُ الآفــاق حــولَكَ بالعــواصف والرعــودْ
أو قـدْ يمـوَجُ الصـخـرُ تحـتكَ بالأفـاعي والصـديدْ
ومـدافعُ الأعــداء تعْـوي باللّظى العــاتي المريدْ
حــتى تكادُ الأرضُ منهــا أن تَشَـقَّقَ أو تميــد
لكنمـا . . لا تبـرحَنّ الأرضَ . واحـتـضـن الحـدود
فـالأرضُ أرضُكَ لن تهـونَ، ولن تَذلّ، ولن تَبـيـدْ

* * *

اليـومُ يومُكَ يا أخي . . صبـراً كـمـا صَبـر . . الجدودْ
لا تفْــزعَنّ لمكـرهـمْ . . ولـنارهـمْ ذات الـوقــودْ
صَـبـراً كـمـا صَـبـرَ الرعـيلُ الأولُ الفـذ المجـيـدْ :
منْ «آل ياسـرٍ» لـم يُزَحْـزحْـهُمْ عَـذَابٌ أو وعـيـدْ
«وبلال» لـم يهـزمْـهُ سَـوْطٌ أو هجـيـرٌ أو حـديدْ
اليـومُ يومُك يا أخي . . عـزمـاً كـمـا عَـزَمَ الجـدودْ
عـزمـاً كـعـزمـة «حـمـزةٍ» و«أسـامـةٍ» و«ابنِ الوليـد»
فـالصَّـبـر والعـزم الحـديد وسيلةُ النصـر الأكـيـدْ

* * *

وانشـدْ نشـيـدَكَ يا أخي . . . فالكونُ يستـمعُ النشـيدْ
واهتف هتـافَكَ داوياً . . . فَلانْتَ فـارسُـهـا الوحـيـدْ
زَلْـزلْ بـه أركـــان إســـرائـيلَ والـظـلـمَ المَريـدْ
«إنّي هُنـا لن اسـتكينَ . . ولنْ أُسلّمَ أو أحــيــدْ

اللهُ غـــايتنا، وإيماني ســـلاحي والرصـــيـــدْ
لا، والذي أهْوَى بفـــرعـــونَ العـــتيِّ وبالجنودْ
وأذلَّ خـيـبـرَ والنضـيـرَ وقَـيْنُقَـاعَ من اليـهـودْ
لا، والذي قَـــدْ أنزلَ الأنفـــالَ والأعلى وهودْ
مـهْـمـا حـشـدتمْ من مـدافع أو مـوانعَ أو حُـشُـودْ
فـسَبـيلُنا ـ للحق ـ إحدى الحسنيين، ولا مـزيد :
إمـا فلسطينٌ وإمـا بالحـدودِ.. أنا شـهـيـد »

* * *

يا «بُطْرسُ الغـالي» رخُـصْتَ وهُنتَ في عين الوجـود
مـالي أرى مـيـزان «هيـئـتك» الوقـورِ به همُـودْ:
خَلَلٌ ثوى في كـفـتـيـه فـصـار ـ من خَلَل ـ قـعـيدْ
فـالظلمُ عندك إن تَشَـأ.. والعـدلُ ظلْمٌ إذ تُريدْ
فـإذا وعـدتَ فـلا وفـاءٌ بالعـهـودِ وبالوعـودْ
أو مَـا ترى لِلِّصِّ أصـبحَ مـالكا فـيـهـا يَسـودْ
أمـا الديار فـصـحْبَـهـا.. طُرداءُ منها كـالعبيـدْ؟

* * *

يـأيهـا الطرداءُ يا شـرفـاءُ: لا تَنْسـوا العـهـودْ
أو تقْنطَوا من رحـمـةِ الجـبّـار ذي العـرش المجـيـدْ
فـالفـجـرُ آتٍ ـ لا مـحـالةَ ـ لم يَعُـدْ منكـمْ بَعـيـدْ
وغـداً سـتـنهـار المواقعُ والموانعُ.. والسـدودْ
وتـذوبُ ـ من إصـراركـمْ وتقـاكـمُ ـ كلُّ القـيـودْ
وتعـودُ رايةُ «أحـمـدٍ» للقـدْسِ في هَزَجٍ سَـعـيـدْ

الإسراء والأطفال والحجارة

وهَاقــــدْ هلَّـتْ الـذكــــرى عــبــيــــراً فــــاحَ ريَّاه...
فـأصْــبحَ جــدبُهــا رَوْضــاً وشـــــادي النـور ضَــــوّاه
مــحــمــدُ يا رُبىً يَسْـــري تَـمَـلَّى مِنْ مُـــحَـــيَّـــاهُ
فــســبــحــان الذي أسْــرى بـه في ظـلِّ نُعْـــمَـــــاه
فـــمـــــا زاغَتْ لـه رُؤْيا ومــــا كَـــذَبَتْـــهُ عَـــيْنَاه
وليس هناك غــيْــــرَ النورِ مِـــعْـــراجٌ ومَــــسْـــراه
فـيـغـشى السِّـدْرَةَ الشـمَّـاءَ مـــــا يـغْــــشى لمرْآه
وآيـاتٍ لـه كُـــبْـــرَى تُحــــقّقُ مــــا ... تمنَّاه
وصــــوْتُ الله يحــــدُوهُ ويـأمــــرُهُ .. ويـنْهــــاه
فكانتْ شــرْعَــةُ المحــرابِ خَـــمْـــســــاً مِنْ عَطايَاهُ
لتنهى العــبــدَ عن خَطَلٍ فــيــبــعــدَ عَنْ خطاياه

* * *

لقـــد هَلَّتْ رُؤَى الذكْــرى ومِــلْءُ قــلــوبِــنَـــا الآهُ
وقـــد نزَّتْ جــراحُ القلْبِ ممـا قــــدْ لَقـــينَاهُ
فَطِرْتُ على جناحِ الشــوقِ للأقْـــصى لأحْــيـــاهُ
وها قــد جـئتُ يا مــحــرا بُ أسْــتَــدفِي بذكْــرَاه
ودمْعُ الحُـــزْنِ في الصلوات رَوّانِــــــــــــي وَروَّاه
أنـا لـنْ أبْـرَحَ المحْـــــرا بَ حــــتى يـأذنَ اللـهُ
هنا قـــد خَــرَّ للأذْقـــا نِ رُسْـلُ الـلـهِ : ربَّــاهُ!!

وأَمَّـــهُـمُ رســـولُ اللّـ ـه. يا أَعْظِمْ بِتــقْـواه!!
فــفــاض الأفْقُ بالأنْوا رِ مِـنْ نـورٍ تجَـــــلاه
وسـبَّحَ في جـبين القـدْ سِ من أطيـاب لُقْـيَـاهُ:
جـبالٌ هَشَّ شـامخُـهـا وزيتـــونٌ وأمْـــوَاهُ
أنا في المسـجـد الأقْـصـ ـى وقلبي: الحُبُّ أَضْناه
ذرونـي أَرْتـوي مـنْـهُ وأَشْـبَعُ مِنْ نَجَـاواهُ
ولـكنَّ الأيادي الســو دَ شـدَّتْني.. فَـأوّاه
وقـالوا: لَمْ يَعُـدْ لَكُمُ ولا حـتى بقـايـاه
هنا قـد كـانَ هيكلُنا بنَـيْنـاهُ.. وشـدْنَاهُ
سـنبْنيـه ونُعليــه ليـرضَى ربُّنا (ياهُو)

* * *

وسِـرْتُ بقلبيَ الدامي كَمَنْ في القـيـدِ رِجْـلاه
وقـلـتُ: أهـكـذا يُـطْـوى كـفـاحٌ قـد بدأنَاهُ
ومـجـدٌ من حُـشـاشَـتِنَا ومـاءِ القلْبِ صُغْنَاهُ
وقـدوتُنَا رسـولُ الله في نـهْجِ رضِـينـاه
فكيفَ نعـودُ مَـوْكـوسِـ ـنَ، والماضي أضـعْـنـاه
يسـودُ حـياتَنا قـهـرٌ و إذلالٌ وإكــــراهُ؟
ولـكـني بـدرْب الحــزْ ن والظُّلمـاتُ تَغْـشَـاه
هناك.. رأيتُـهُ.. طفْـلا تُشِعُّ النورَ عـيْنـاه
يثـورُ بكفـه حَـجَـرٌ سـعـيرُ الثـأرِ لَظَّاهُ
يهـابُ يهـودُ لسْـعَـتَـهُ وتُرعِـبُـهُـمْ شظايـاه
يُكبِّـرُ حـينمـا يَرْمي وجندُ يهـودَ مَـرْمَـاهُ
فـيـا عـجـباً لهذا الطفْلِ كـالصـاروخِ يُمْنَاهُ

تســوقُ الموتَ في حــجــرٍ يمـزِّقُ مَـنْ تحـــــــــدَّاهُ
ويرمي حَـيْـثُـمـا يَبْـغي كـأنَّ الحــربَ مَــهــواه
ومـــا طـفـلٌ هَـوَ الرامي بــل الــرامــي هَــوَ الــلــهُ

* * *

ويا عَــجَــبــاً لهــذا الطفــلِ في صُــبْـحٍ ومَــمْــســاهُ
فــمــا جــرْحٌ بعــائقــه ولا التــعــــذيبُ بَـكّاه
ولا ســجْــنٌ يُـرَوِّعُــهُ ولا التــشْــريدُ يَـخْــشَــاهُ
فــقـم لقــيــادةٍ ضَلَّتْ ومَنْ أعــمَــتْــهُ دُنْيــاهُ
وعَلِّمْــهُــمْ أيا طفـــلاً هُـدَى الإســـــلامِ ربَّـاه
وعـلمــــهم أيـا بَطَلاً هَـوَى المحـــراب نَـمَّـــاه
وعـلمــــهم أيـا أمَــلاً يصـــوغُ المجْـــدَ كـــفَّـاه
بـأن الحقَّ منتـــصـــرٌ ونـاصـــــرُهُ هـو الـلـه
وقـل لـلقـــائد المغـــوا رِ مَنْ أعنيـــه .. «إياه» ..
بـأنَّ الـقـــدْسَ لَـنْ يعـنو بصـــخـــرته وأقـــصـــاهُ
....
....
وهـذي الأرضُ للإســـلام قـلعـــتُـــهُ ومـــأواه
وسـلْ عُــمَــراً وسَلْ عَــمْــراً ومَـنْ ذا التُّـــــرْبُ واراه
سِــجِـلٌّ شــهــادةٍ في الله كَفُّ المجْـــد أمْــضَــاهُ

* * *

أيا أطفـــالُ .. يا أمـــلاً وأنـتـمْ قـــوةٌ .. جـــاه
مـحـمـدُ لمْ يَمُتْ .. فـيكم عـــزيمتُـــهُ وذكْـــرَاهُ

خُـذُوني أَنْضَـوِي مَـعَكُمْ   بدربٍ قـدْ عـشـقْنَاهُ
فـأرْمي مـثلمـا ترْمُـو   ن صـخـراً قـد شـحـذْنَاهُ
ومِنْ لـهَبٍ سـقـيْناه   وبـالإصـرارِ سُـقْنَاه
فـإمَّـا يَهْـوِ في الميـدا   ن جـسـمي، البَـغْيُ أرْدَاه
ومَـزَّقَـهُ لأشْـلاءٍ   فَـصَلُّوا فـوْقَ أشْـلاهُ
وخَلُّوا أَعْظَمي حَـجَـراً   بـوجْـهٍ قـدْ لعَنَّاه
وسـيـروا في طريقكمُ   فـعـينُ الله ترْعـاهُ
فـهـذا النصـرُ مُـؤتَلِقٌ   وأنـتـمُ بـعضُ بُشْـراه
وواعِـدُنـا هَـوَ الـلـهُ   ومَـوْعِـدُنا هوَ اللهُ..

شيخ يحكي موت الفارس

«١»

«لا حول ولا قوة إلا باللهُ»
قد خضْتُ زحوفاً مائة..
أو أكثرْ
ورويت سيوفي من دم الأعداءْ
ورسمت برمحي - وبحق -
خارطة الحرب الشعواءْ
وفتحت ذراعي للموت الأحمرْ
حتى أصبح ما في جسمي
شبرٌ واحدْ..
إلا وبه من حد السيف كلومْ
أو أثر من طعنة رمح نجلاءْ
وبه من أثرِ نصال القوم رسومْ
وأموتُ اليومَ
على فُرُشي كبعيرْ
لا ذاقتْ طعمَ النومِ
عيون الجبناءْ...

لا ذاقت طعم النوم
عيون الجبناءُ..»

*   *   *

«٢»

لا حول ولا قوة إلا بالله !!
قد نامت ـ وا أسفاهُ ـ
عيون الجبناءْ
فقلوبهمْ تنبضُ من غير دماءْ
ما عاد بها غيرُ هواءٍ..
وخواءٍ..
واسترخاءْ..
لكن السهد يكحل في المحراب..
عيون رجالٍ..
رصدوا أنفسهم للهْ...
ذكروه.. وصلّوا.. سجدوا
حتى خرُّوا ـ من خشيته للأذقانْ
لكنهم..
ـ إن هتف السيفُ
ونادى الحتفُ ـ
رأيتَهُمُ أعتى الفرسانْ

*   *   *

«٣»

الشيخ الطيبُ
في ساحة جرن القرية[1]
يحكي القصة للبُسطاءْ..
« يا عجباً..!!
ما مات فتى مخزومٍ في الميدانِ
بسبب جراح دامية حمراءْ..
كانت تُحصى بالعشراتْ
في الصدرِ، وفي الجنْبِ..
وفي الكتفِ الأدماءْ..
بل مات حزين النفسِ
كسير القلبِ
كشأنِ الأبطال الفرسانْ
يبكون إذا لم يقْضُوا في الميدانْ»
و« تُمصْمصُ» أفواه البسطاءْ
ويتمتم بعضهُمُ أشياءَ وأشياءْ..
مبهمةً لكنْ فيها نبْر رثاءْ..

* * *

« خالدُ عاش مهيباً..
عانى الزحف، ولا ألف لواءْ

---

(١) الجُرن: البَيْدَر.

حتى ما انكسرت رايتهُ..
في أي لقاءْ
في يوم «مسيلمة الكذابْ»
كسُرت في يمناه سيوفٌ تسعةْ
حطمها في نحر الأعداءْ..
وكثيراً ما أحرز نصراً تلو النصرْ
ـ لا بالسيف ولا بالرمحْ ـ
لكن يحرزها بالرعب الصامتْ:
يكفي أن يعلم أعداء الإسلامِ
بأن القائدَ خالدْ..
فيخروا منهزمين خزايا..
حقاً.. قد كان رسول الله على حق
إذ لقَّبهُ: سيف الله المسلول»
«الله.. الله.. !!
أكمل يا سيدنا الشيخ
حديثُك كالشهد المعسولْ»

* * *

«٥»

في اليوم التالي...
في الصبحة غير الباكرة
رأيتُ الناسَ البسطاءَ..

رجالَ الأمْسْ
بعيون ناعسة متثائبة
يمضون إلى الحقل
لحصد القمح الكالح في عز الشمس..
وحوار بينهم يتنقل.. يتثاءبْ..
– عمّنْ كان الشيخ يقولْ؟
– عن شخص .. يُدعى.. يُدعى..
.. إني – والله – نسيتْ
– عن شخص يبكي..
إذ يلقى الموت على فرْشهْ
– شيء عَجبٌ والله..
– كل منا يتمنى
أن يلقى الموتَ على فُرُشِهْ
– بين الأهل وأولادهْ
– قد ضيع منا..
هذا الشيخُ السهرةَ أمْسِ
– منه للهْ !!
– قد ضيع مني فرصة عُمري
آخرَ حلقات التليفزيون
« سنبلُ بعد المليون »
– وأنا ضاعتْ مني

« فزورة شاريهان »

– شيخ ساذج:

لا يعرف أن الوقتَ

– كما قالوا –

« منْ ذهبٍ »

– لا حول ولا قوة إلا باللهْ

لا حول ولا قوة إلا باللهْ.

صفحة في سجل الأجداد

بُنيَّ تعـالَ اليـوم نفـتحُ صـفـحـةً
من العَبَقِ التـاريخَ كي ينفع الذكـرُ
جـــدودُك كـــانـوا للأنامِ هـداتَهُ
سـلاحـهُمُ فـيـهـا اليـراعةُ والحـبْـرُ
فقد سودوا الصّفْحاتِ علماً وحكمةً
ومن سُودها قـدْ أشـرقَ النور والزهرُ
فَـدُكّتْ ضـلالاتٌ، وخـر جـبـابرٌ
وولّتْ خـفـافـيشُ الجـهـالةِ والقـهـرُ
وقـامتْ حـضـاراتٌ وعـزت منابرٌ
وقـاد شـعـوبَ الأرضِ أجـدادُك الغُرُّ
وشـرَّقَ أهلُ الحق فـيـهـا وغـرّبوا
ليـجـري بهم بحـرٌ، ويزْهُو بهـمْ بَرُّ
هُتـافُـهُمُ التـوحيدُ يَسْري كمـا السنا
ولكـن بيُـمْناهمْ رمـاحُـهُمُ السُّـمْـرُ
فـمن ظلـم البـرهانَ والحقَّ واعـتـدى..
وكـان هواه المسـتـبـاحُ هو الفُـجْـرُ
فـليـسَ لـه إلا القـنا تـتـبعُ القـنا
وخيلٌ كعصفِ الريح، ماضيةٌ شُقْرُ

فـمــا هي إلا غــمــضــةٌ وانتــبــاهةٌ
ويأتـي ـ بأمـر اللهِ ـ في إثْرِها الـنصـرُ
ولـكـنـمـــا الـفـــتحُ المداومُ إنما . . .
قـــيـــادتُـهُ الحبُّ المنزَّهُ والـبـــرُّ
وجـيشٌ من الإحـسـانِ والحكمـةِ التي
تخـاطبُ عـقـلا قـد طوى نوَرهُ الشرُّ
ليـهْـتِكَ عنه ظلْمَـةَ الليلِ والهـوى
ويسلُكَ دربَ المهـتـدين ولا كِـبْـرُ
فـلا تعجَبَنْ كـيفَ الكَفـورُ وقد غـدا
تسـاقَطَ عنه الليلُ والشـرُّ والكفـرُ
وصــار غنيـا بعــدمـا عـزَّ جـانبـاً . .
فـمـا عـادَ مـحـروباً يصـارعُـهُ الـفـقـرُ
ومـا الفـقـرُ نقصٌ في الـثـراء إذا غَـدَتْ
أيادي البـرايا ليس فـيـهـا ولا صِـفْـر
ولـكـنه فــقـــرُ النفـــوسِ إذا انطوتْ
وقـد ماتَ فـيـها الخيرُ والحبُّ والفكرُ

* * *

لقـد كـان في عـهـد النبي شـبـابُنا
كمثِل السيوفِ الجُرْدِ في حدِّها جمْرُ
أسـامـةُ فـيـهـم والبَـرَاءَ ومـصـعبٌ
وأبناءُ عــفــراءَ الـصــحــابيــةِ الغُــرُّ
ومنهـم عليٌّ يومَ خـــيـــبـــرَ إذ لَقُـــوا
مصـارعَهُمْ من « ذي الفَقارِ » ومـا قَرّوا

ومن لم يمتُ بالسيف أرداه رعبُه
ومن لم يَفُزْ بالفَرِّ أقعدَه الأسْرُ
ملاحمُ قد صاغَ الشبابُ نسيجَها
وما نسْجُها إلا العزيمةُ والصبرُ
فما حقق الآمالَ إلا عزيمةٌ
تمورُ كما البركان، ذلَّ له الصخْرُ
لذلك لم يخشَوْا من الكرِّ صعْقَهُ
وكان نصيبُ الكافرين هو النحْرُ
أَيَخْشى من الكرِّ الذي الكرُّ فنُّه
فإنْ كرَّ يوماً خافَ من سيفه الكرُّ
وفي كفه من ذي الفَقار طباعُهُ
وفي قلبه نورُ الإله هو الذكْرُ
وَمن لم يكن في طاعة الله سعيُهُ
فكل الذي يأتيه في عمرِه خُسرُ
فلا حقُّهُ حقٌّ، ولا بذلُهُ نَدىً
ولا وصْلُه برٌّ، ولا سعيُهُ خَيْرُ
ولكنَّ عينيه انطفاءٌ، وقلبُهُ
هواءٌ، وفي أعماقِه اللؤمُ والغدْرُ

* * *

فتى الحق يا فخرَ العروبة كُنْ لها
منارةَ علمٍ، وانطلقْ، زانك البِشْرُ
تقدَّمْ إلى العلياءِ: إنك مسلمٌ
ومن دانَ بالإسلام لم يَثْنِهِ القهْرُ

وكيفَ تهابُ الناسَ، والناسُ خَلْقُهُ
وليس لغيرِ الله في خَلْقِهِ أَمْرُ
بـ «كُنْ» ينفُذُ الأمرُ الإلهيُّ فيهمُ
وليسَ لعبدٍ من إرادتِه فَرُّ
وقل لن يصيبَ المرءَ إلا قضاؤُه
بها جاء نصرُ الله، وانبلجَ الفجرُ
تقدَّمْ إلى العلياء إنك مسلمٌ
ومن دان بالإسلام ذَلَّ له الوعْرُ
ولا مَهْرَ للعلياء إلا بثروة..
من العلمِ والأخلاقِ «بوركتَ يا مَهْرُ»
فكنْ من شبابٍ يطلبُ المجد ودَّه
ويشدُو به صوتُ العروبةِ والفخْرُ
تقول إذا ما سعَّر الموتُ نارَه..
ونادى المنادي: «أيها الفتيةُ الغُرُّ»
تقول له: «لبيكَ في الكرْب إنْ طغَى
فعُدَّتُنا الإيمانُ، والعزمةُ البِكْر
وإنا شبابٌ لا توسَط عندنا..
«لنا الصدرُ دون العالمين أو القبرُ»

«جَوْهر دُودَاييف» سيفُ الله الشهيد

قُضيَ الأمرُ، فاهْدئي يا حُتوفُ ... وَدِّعَ الأرضَ للعلا دُودَييفُ

مُصْعداً، مُصعداً إلى النور يعْلُو ... فَهْو للنور تائقٌ.. وشَغوفُ

راقِياً .. راقياً إلى الملأ الأعْـ ... ـلَى، ومِنْ حولهِ المعالي تَطوفُ

* * *

عاشَ للشعْبِ شامخاً وعزيزاً ... لا يخافُ اللهيبَ، لكنْ يُخيفُ

في لقاء العدوِّ صعبٌ عنيفُ ... وهْو في جنْده رحيمٌ عطوفُ

«فالمنايا ولا الدنايا» شعارٌ ... قد تبنَّاهُ، لمْ يَنَلْهُ الخسوفُ

كان يَمْضي: سلاحُه العزم والنا ... رُ، ونورُ التُّقَى، ودينٌ حنيفُ

بالقليل القليل يسحقُ جيْشاً.. ... مِنْ جيوشِ «السُّقْييت» وَهْوَ أُلوفُ

مرَّغ «الدبَّ» في الوحولِ فأضْحى ... في هوانٍ، فقالَ ناسٌ: «خروفُ»

* * *

كانَ في شدَّة الجليد لهيباً ... ساعرَ الجمْرِ، بالأعادي يُطيفُ

يستوي عنده شتاءٌ رهيبٌ ... وربيعٌ، وصَيْفُها، والخريفُ

مرَّةً في الجنوب بعدَ شمالٍ ... ثم في الشرْقِ نارهُ والسيوفُ

مرَّةً في الجبالِ، وهْيَ عَوالٍ ... ثم في السهلِ، وهْو ريحٌ عصوفُ

ثم في خندقٍ يقودُ رجالاً ... ثم في قمةٍ حَوتْهم كهوفُ

وهْو آناً ـ كما الأسودُ الضواري ... يسْكن الغابَ حيثُ تَمْضي الزحوفُ

ها هنا اليومَ، أوْ هناكَ مساءً ... وله في العدوِّ ضربٌ: صُنُوفُ

ينشـرُ الروسَ نثـرةً .. بعـد أخـرى والذئابُ الضـواري عليـهمْ عُكُوفُ
واقـــفـــاً في عين الرَّدى لا يُبـــالي وكـــأنَّ الـردَى صـــــديقٌ ألـيفُ
لا تَقُلْ «جِنَّةٌ» فـمــا تصْنعُ الجِنَّةُ مـــثلمـــا قـــد أتَى «دوديـيفُ»
ســـاومُـــوه لك الأمـــانُ، ومـــالٌ ونفــوذ ســمـــا، وقــصــرٌ مُنيفُ
قـــال ـ والأرض مـــائجـــاتُ الروابي طَلْعُـهـا النارُ، والدخـانُ الكثـيفُ
غـــايتي خـــالقي، ونصـــرٌ عــزيزٌ يُنْصِف الحقَّ، أو مماتٌ شـــريفُ

* * *

ثم كـان القـضـاءُ أقْـوى مِنَ الظنِّ ولله في العـــبـــاد صُـــروفُ
يرحلُ القـــائدُ المهــول وتبـــقى أمـــةٌ كُلُّ مَنْ بهـــا .. «دودييفُ»

نجيب الكيلاني

هذه القصيدة التي نعرضها على قرائنا اليوم ألقاها الشاعر الدكتور جابر قميحة في احتفال جامع بالأديب الكبير نجيب الكيلاني أمام عدد كبير من أصدقائه وأحبائه ومريديه، وكانت آخر ما سمعه الفقيد العظيم من تحايا شعرية.

وقد جاءت القصيدة التي تلقتها المجلة من عدة أسابيع، «ترجمة نفسية صادقة» لحياة الكيلاني العظيم بما عمرتْ به من كفاح وجهاد وتضحيات في شتى الميادين، ولأن مثل هذه الحياة تبقى صفحة وضيئة ممتدة لا تنتهي ولا تُنسى ولا تبلى:

رأينا نشر القصيدة كاملة كما تلقيناها، رحم الله الكيلاني العظيم.

ها هُو الجمْعُ قد أتانا حميداً ... مُشْرِقَ السَّمْت عاطرَ الوجدانِ
قد تلاقَوْا في شرعة الحقِ والفَنِّ ... وسامي الآداب.. والتبيانِ
وَحَداهُمْ من السجايَا وفاءٌ ... كي يُحيُّوا نجيبَها الكيلاني
شاعرٌ ناقدٌ أديبٌ طبيبٌ ... قلتُ: «سبحانَ ربِّنا المنَّان»
إذ حباكَ الكثيرَ، فهو كريمٌ ... فأتيْتَ الثمارَ قبْلَ الأوانِ
وبيانُ اليقين سامٍ ونامٍ ... وبيانُ النفاق ذاوٍ وفانِ
كالأُلى يرقصونَ في المهرجانِ ... ويخرّونَ فيه للأذقانِ
يلْثمون البساطَ في نَشَواتٍ ... والولاءُ الخسيسُ للطغْيانِ
أبداً ما استَوتْ عَقودُ زجاجٍ ... وعقودُ الياقوت..والمرجانِ
أبداً ما استوتْ جبالٌ عَوالٍ ... شامخاتُ الذُّرا مَعَ القيعانِ

* * *

قد جَمعْتَ البيانَ والطبَّ: مَرْحَى وجعلْتَ البحرين.. يلْتقيانِ
بحرَ شعرٍ، وبحر نثر رصين نَقْدُهُ والقَصيدُ يَستويانِ
وبنيك التسعين بالقلم السيَّـ ـال، أنْجبْتَ منْ رشيدٍ وهاني
كلهُمْ رائعٌ جليلٌ، بهيٌّ آسرُ السحر، فاتنٌ في المباني
وكأني في غَمْرة الحبِّ أرنو فإذا الخاليات منى دَوَاني
فالإمامُ العظيمُ في الفَيْلق الفذِّ يرُودُ الجموعَ.. كالربَّان
رافعاً باليقين خيرَ لواءٍ باركتْ زحفَهُ يدُ الرحمنِ
هاتفاً بالجموعِ تتلُو جُموعاً «مِن هُنا يا جُموعُ.. للقرآنِ»

* * *

وعلى صوته صحَا المشرقان ومنَ الصوْت زُلزِلَ المغربان
وبظلِّ اللواءِ كان نجيبٌ في حشودٍ منْ خيرة الشبَّان
وكأنَّ العُقابَ تَمْضي انتصاراً مثلَ بدرٍ: «يوم التقى الجمعان»
يا نجيبُ الطريقُ جِدٌّ طويلٍ مائجٍ بالذئاب والحِرْمانِ
يا ابنَ «شرشابةٍ»(١) تمهَّلْ لتبقى في أمانٍ وعيشَةِ اطمئنانِ
ونجيبٌ يُصرُّ أنْ يقطَعَ الدر بَ مَليئاً بالشوكِ والنيرانِ
وإذا قلبُهُ سعيرٌ تلظى وإذا جسْمُهُ كما الصوّانِ
إنَّها عزْمَةٌ من الله حَلَّتْ في تجاليد ذلك الإنسانِ
وأولو العزمِ يعشقون المنايا إنْ أُريدوا للذلِّ والإذعانِ

* * *

ومضى الطائرُ المهاجرُ يَرْتَا دُ الخليجَ الشقيقَ في نيسانِ
يزرعُ الحُبَّ في القلوب ربيعاً عبقريَّ السَّنا نضيرَ المعاني

---

(١) شرشابة: اسم القرية المصرية التي ولد الأديب الكيلاني بها.

عـرْشُـه قلبُـه، وفي إصـبـَعَـيْـه قَلَمٌ يزْدَهي على التـيـجـان
ببـيـانٍ كـثـائر.. البـركـان.. وبيـانٍ كـالرَّوْح والرَّيْحـان
واصلَ الجـهْـدَ والجـهـادَ بعـزْمٍ حـاسـمِ القطعِ، ناصعِ البُـرْهَانِ

* * *

ويعـودُ الهـَزَارُ(١) للسَّـاحَـة الأمِّ ليـشْـدُو روائعَ الألحـان
يحـملُ السحـرَ والربيعَ فـيكسـو بالعـبيـر النديِّ وجـهَ المغـاني
فَـتُـحـيِّـيـه بالحـفـيف غـصُـونٌ وخـريرٌ منْ دافَق الغُـدْرَان
وطيـورٌ قـدْ شـفـهـا الشـوقُ للنا زِحِ ذابتْ في شـدوهِا الفَـتـانِ
رحلةٌ طاب في الحيـاة مَـدَاهَا وأتتْ أُكْلَهـا الثِّـمـارُ الدواني
كنتَ فيـهـا أغـرَّ شـهْـمـاً.. أبيّـا في رعـيلِ الفـرسـان والرهبـان
حـسـبُك اللهُ، ثم فنٌّ جـمـيلٌ «أنت حـقـاً نجـيـبُـهـا الكيـلاني»

* * *

(١) الهزار: طائر حسن الصوت.

عظيم.. عظيم.. يارفاه..!!

رأيتُ البحرَ مُمتداً مَداهُ ... فلا يبدُو لراءٍ شاطئاهُ
تدافعَ موجُهُ، وعَلا هديراً ... فهزَّ الأرضَ والدنيا صَداهُ
هل «البسفورُ» قد ألْقَى حَشاهُ ... فناءَتْ، ثم مالتْ ضفتاهُ؟
فقالوا: «ليس ذا بحراً، ولكنْ ... حُشود الحقِّ جمَّعها «الرفاهُ»
جنودُ الله قد هبّوا وقاموا ... يَشقُّ هتافُهم فيها سَماهُ
فحبلُ الله يَنْظمهمْ جميعاً.. ... على التوحيد، ما اعتنقوا سواهُ»
سألتُ: «ومن وراءَهُمُ ظهيراً»؟ ... أجابُوا: «إنَّ حَسْبَهُمُ الإلهُ»
فجيشُ الحقِّ مرفوعٌ لواهُ ... وجيشُ الظلمِ منكوسٌ لواهُ
ومَنْ كان الإلهُ له مُعيناً ... ولم يعبدْ سواهُ فقد كَفَاهُ
وما «دستورهمْ فيها؟»: كتابٌ ... يُهتِّكُ ظُلمةَ الباغي ضياهُ
كتابٌ قد سما وعلا عُلاهُ ... فلا تشريعَ يرقَى مُستواهُ
عليه طَلاوةٌ جمُلَتْ وراقتْ ... ويَأسِرُ كلَّ قلبٍ منْ حُلاهُ»

* * *

ومَنْ رُبَّانُهمْ؟ قالوا: «أميرٌ ... تشرَّبَ بالعقيدة منْ صِباهُ
فهذا الشرقُ يسألُ ما دهاهُ؟ ... وما نامتْ لغربٍ مُقْلتاهُ
زعيمُ الأغلبية عن يقينٍ ... فإنَّ الشعبَ للشعبِ ارتضاهُ
ليغسلَ عارهُ، ويعيدَ شرْعاً ... كما قدْ كانَ.. مرفوعاً بنَاهُ»
أأرْباكانُ؟ أنْعمْ منْ أميرٍ ... تزلْزلت الضلالةُ إذ تراهُ
أأربكانُ؟ أنعمْ من زعيمٍ ... يقودُ الصفَّ مسموعاً نداهُ

رأيْتُ «الفـاتحَ» المغـوارَ فـيـه تجلَّى، لا تـقـلْ: «ملكٌ وشـاهُ»
لـه المجـدُ المؤثَّـلُ في رجـالٍ فـيـالـقَ قـد نَمَـاهُمْ مـا نَمَـاهُ
يَشُقُّ عُـبـابَهـا شـهْـمـاً مَـهـيـبـاً فـيـهْـوي من مـهـابتـه عـدَاهُ
فنصـرٌ بالأسنة مُـشْـرعـات كَـذَا بالرعْب نصـرٌ قَـدْ حَـدَاهُ
فـأقْـصـاهـمْ كـأدْنَاهُمْ جـمـيـعـاً أتـاهُ من الـهـزيمة مـا أتـاهُ
بـه دُكَّتْ «بِزنْطةُ»، فـاعـتـلاهـا أذانُ الفـجـرِ، مـا أحلَى صَـدَاهُ!!

* * *

تـقـدمْ للأمـام أيا «رفـاهُ» يبـاركْ جـهـدَك النامي الإلهُ
لتـرفعَ رايةَ التـوحـيـد تزهُو بـنـورِ الحقِّ يسطعُ في عُـلاهُ
وقـولُوا للذين بَغَـوْا وضلُّوا وقـد شـاهَتْ مـبـادئهم فـتـاهُوا
إذا افـتـخـروا بمن يدعْى كـمـالا: «لنـا الإسـلامُ ليس لنا سـواهُ
لنـا الإسـلامُ ديناً ثـم دنيـا وأنـفـسُنـا وأهـلُونـا فـداهُ
وإن سـجـدوا لغـيـر الله إنّا لخـالقنَا فـقطْ تعْنُو الجـبـاهُ
فليسَ بمسلمٍ مَنْ سِـيمَ خَـسْـفـاً ولـم يُـرْخِصْ لعـزتِه دِمَـاهُ»

* * *

لكَ المجـدُ المؤثَّـلُ يا «رفـاهُ» رعـاكَ الله إذ تبْـغي رضـاهُ
فـلا يحـزنْكَ مَنْ ضلُّوا وتاهوا فـأمـرهُمُ يَسـيـرُ.. لمنتـهـاهُ
هلالُكَ قـد غـدا بدْراً تمامـاً يمزِّق ظُـلْمَـةَ البـاغي سناهُ
ويـهـدي سـارياً قـد ضلَّ دربْاً فـيـشـرقُ مِنْ وَضَـاءتِه سُـرَاهُ
ومـا عـرفَ الخـسـوفُ له سـبـيـلا فـعـانَقَت القلوبُ شَـذا هُداهُ
وسنبلةُ الرفـاه غـداً سـتـنْمـو حـصـيـداً خـيِّـراً تزهُو رُبَاهُ
فـيـغـمـرُخيـرُها شـعـبـاً فـقـيـراً عَـرَاهُ من المظالمِ مـا عَـرَاهُ..

وإنْ كـــان الظلامُ لـه جنودٌ تحـيكُ من «التـحـالف» مـا نَراهُ
قلوبُهُمُ من البـهـتـان غُلْفٌ كلَيْلٍ حـالكٍ عـمـيَتْ دُجَـاهُ
فلنْ تبـقى سـيـادتُهـمْ طويلا ولن يُجـدي ذوي السلطان جـاهُ
فـقلْ للظالم المسـعـور لمّا غـشـاهُ من الضـلالة مـا غـشـاهُ:
بقـاءُ «الغـاصِبِ» الباغي قصـيـرٌ وعُـمْـرُ الحقِّ لا يَفْنَى مَـدَاهُ
وقلْ: لا يسـتـوي أبداً بصـيـرٌ ومَنْ قـادَ العَـمَى فـيـهـا خُطاهُ
فـداءُ الجـسْمِ مَـرْجُـوٌّ دَواهُ وأعْـمَى القَلْبِ لا يُرْجَى شِـفَـاهُ

* * *

لكَ النصـرُ المُوَزَّرُ يا «رفـاهُ» حـمـاكَ اللهُ إذ تَرْعَى حـمـاهُ
وإنَّ غـداً لـناظرِه قَـريبٌ وجـيشُ الحقِّ لنْ يبْـقى سِـواهُ

إلى أحمد أول أحفادي..

أتيتَ بعدَ انتظارٍ قاسٍ طويلٍ مَريرِ
بِحَرِّهِ المُتَرامي وبردِه الزمْهَريرِ[١]
فالأمُّ تُمْضي الليالي ثقيلةً كالدّهورِ
وَهْناً على الوهْنِ قاسَتْ في تسعةٍ منْ شُهورِ
وأنْتَ في غيباتٍ كالحالكِ الدَّيْجُورِ[٢]
فَمَنْ هداكَ لتُغْذَى وأنتَ غيرُ بَصيرِ
ومَنْ سقاكَ شراباً في غيرِ كأسٍ دَريرِ[٣]
وأن تنامَ عَميقاً نَوْمَ السعيدِ القَريرِ
كأنما أنْتَ فيها على فراشٍ وَثيرِ
وأن تَشُقَّ طَريقاً من ظُلمةٍ للنورِ
منْ عالَمٍ كنْتَ فيهِ في ضَيِّقٍ مَحْصُورِ
لعالَمٍ صرْتَ فيهِ في راحبٍ مُسْتَنيرِ
فجئتَ خيرَ دليلٍ على الحكيمِ القديرِ
سبحانَ من قدْ بَراكا في أحْسَنِ التصْويرِ

* * *

بُنَيَّ أحْمَدُ مَرْحَى يا زَهْرةً منْ نُورِ
يا قطعةً من فؤادي وبَسْمَةً في ضَميري
أضأْتَ دربَ حَياتي ملأْتَهُ بالبُدورِ

وَبَيْـتُنا صـارَ دُنْيَـا ... مـن فـتـنَـةٍ وسُـرور
وروضــةً من جَـمَـال ... تُزْهَى بكـلِّ نَضـيـر
ومـأْوُنَا صـارَ صَـفْـواً ... بـلا قَـذىً أو عُـكُـورِ(٤)

* * *

إن صحْتَ «واوَا» سمعْنا ... لحْناً سَرَى في البُكور
يَفُـوقُ كلَّ جَـمـيلٍ ... حـتى أغـاني الطيـور
أو ابتـسـمْتَ رأيْنا ... كـلُؤلـؤٍ مَـنْـثُـور
أو فـاضَ ريقُك حَـاكَى(٥) ... نَـدىً بـوجْـه الزُّهُور
وإن هَزَزْتَ رفـيـقـا ... مَـتْنَ السـريرِ الوثيـرِ
رأيتُ فـيـكَ مـلاكـاً ... في مـوجـةٍ من حَـرير

* * *

يا أحـمـدَ الخـيـرِ مَـرْحَى ... يا بَسْـمَـتي وَبشـيـري
سُـمِّـيتَ أحـمـدَ يُمْناً ... باسم البـشـيـرِ النذير
تُرَى غَـداً هـلْ أراكـا ... مـنْ جُـنْده المبْـرُور؟
علـى هُداهُ خـطـاكـا ... مُـبـاركـاً في المَسـيـرِ
وتسـتـجـيبُ لِداعـيـه إنْ دَعَـا للنَّفـيـر
بعـزمَـةٍ لا تُبـارى ... وهِمَّـةٍ كـالسَّـعـيرِ
وعُـدَّةٍ مـن يَـقـينٍ ... في فَـيْلَقٍ مَنْصُـورِ
بشـرعـةٍ لا تُسَـامَى ... ومَنْهَجٍ مـعـمـور
لا يسـتـوي الظلُّ فـيـهـا ... معَ الهَـجـيـرِ الحَـرور(٦)
ولا الضَّـريرُ تسـاوى ... بالمسـتـقـيم البَـصـيـرِ
ولا العـليـم تَسَـاوَى ... بالجـاهلِ المَغْـمُـورِ

* * *

غـــداً تَرى يا حــبــيــبي كم ضـــارِبٍ كـــالضَّـــرير
يمضـي أســـيـــرَ الدنـايا أَقْـــبِحْ بِهِ مِـنْ أســـيـــرِ
وكـم دَعِـيٍّ تَـسَـــامَـى فـي عـــالـمٍ مَـنْكـورِ
وأرْضُنـا كـــيـفَ مَـــادَتْ من طامعٍ مَـــسْـــعُـــور
ومن جَـــهُـــولٍ لئـــيمٍ مـنـافقٍ وكَـــفُـــور
ومـن ضَـــلالٍ خُـــفـيٍّ وآخـــــرٍ مَـنْـظُـور
فكنْ على الدرْبِ نَجْـمـاً يَـمْـضي أبيَّ المَســيــر
وكنْ عـــزيزاً طَمُـــوحـاً مُـــحَلِّقـاً كـالنسـور
وكُـنْ لـديـنـكَ درْعـــاً عنْدَ الصِّـــدَام الخَطيــر

* * *

غـــداً ســتَنْمـو وتَدْري مـــا حُـــمِّلتْـهُ سُطوري
وكـلُّ حـــرفٍ تـراهُ ســجَّلْتُـهُ بشـعـوري
يا أحـمَـدَ السْـعـد مـرحى يا نعْـمَـتي وسُـروري
لأنْـتَ نـعْـمَ الـهَـــدَايا مِنْ خَـيْـرِ مَـوْلى نَصـيـر

من معاني المفردات :

(١) الزمهرير : الشديدة البرودة .

(٢) الحالك الديجور : الليل الشديد الظلام .

(٤) القذى : ما يقع في الشراب أو العين فيؤذيها .

(٣) كأس درير : كأس ممتلئة .

(٥) حاكى : شابه .

(٦) الهجير الحرور : الحرارة الشديدة .

فهرس الديوان

١- حديث عصري إلى أبي أيوب الأنصاري ٥
٢- هديتي إلى شباب الإسلام ١٠
٣- عزة المسلم ١٢
٤- الضاربون في الظلام ١٤
٥- ملحمة النسر واليمامة ١٦
٦- العقاد ... والأسوار المنهارة ١٨
٧- لا .. يا أمير الشعراء ٢٦
٨- أبا البراء سلاماً ٢٩
٩- أمير العاشقين ٣١
١٠- سراييفو.. الدماء والأعراض ٣٤
١١- زيارة فوق العادة للخيول العربية ٣٧
١٢- فرسان الحدود في مرج الزهور ٤٠
١٣- الإسراء والأطفال والحجارة ٤٣
١٤- شيخ يحكي موت الفارس ٤٧
١٦- صفحة من سجل الأجداد ٥٣
١٧- «جوهر دوداييف» سيف الله الشهيد ٥٧
١٨- نجيب الكيلاني ٥٩
١٩- عظيم.. عظيم.. يا رفاه..!!............ ٦٢
٢٠- إلى أحمد أول أحفادي ٦٥